قلعة الرعب

محمود سالم

قلعة الرعب

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

قلعة الرعب

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٤١٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
تبولة بدون بصل	١١
سينما «٩٩»	١٧
على الطريقة الأمريكية	٢٣
الرسالة السرية	٢٩
الحظ قد يبتسم مرة ثانية	٣٥
هل هناك مفاجآت أُخرى؟!	٤٣
الموت ليس أسوأ الحلول	٤٩
وجه الشيطان	٥٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كل منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرة يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

تبولة بدون بصل

أخذ التليفون يدقُّ بإلحاح في غرفة النوم الصغيرة ... بينما المطر الغزير يدقُّ النافذة من الخارج ... وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحًا في تلك الليلة الباردة من ليالي الشتاء ... بينما أخلدَ «أحمد» و«عثمان» إلى نومٍ عميق تحت الأغطية الثقيلة.

دقَّ جرس التليفون للمرة الرابعة ... ففتح «أحمد» عينيه ومرت لحظات قصيرة ثم مدَّ يده إلى التليفون ورفع السماعة ... وكان المتحدِّث هو رقم «صفر».

انتبه «أحمد» فورًا وأخذ يَستمِع إلى الصوت العميق الخشن باهتمام ... بينما عيناه تنظران إلى ساعته ذات الميناء المضيئة.

قال رقم «صفر»: لقد تأخَّرت في الرد؟!

أحمد: آسفٌ جدًّا ... فإن المطر في الخارج عنيف جدًّا ... وصوته على النافذة لم يجعلْني أنتبه إلى التليفون.

رقم «صفر»: مهمَّة عاجلة.

أحمد: نحن على استعداد.

رقم «صفر»: هناك رجل تُهمُّني سلامته جدًّا ... رغم أنني لست متأكِّدًا حتى الآن إذا كان عدوًّا أم صديقًا.

أحمد: أين هو؟

رقم «صفر»: في غرفته بفندق «نورماندي» ... هل تعرف الفندق؟

أحمد: إنه بجوار البحر على ما أذكر.

رقم «صفر»: بالضبط ... خذ «عثمان» واتَّجها إلى هناك فورًا ... أُريدكما أن تقضيا بقية الليلة معه، وكُونا في نفس الوقت على حذر منه.

أحمد: هل يعرفنا؟

رقم «صفر»: ستدقَّان الباب ... وقولا له «تبولة بدون بصل» إنها كلمة السر وسوف يفتح الباب ... وحاوِلا ألا يراكما أحد.

أحمد: اسمه؟ ورقم غرفته؟

رقم «صفر»: مؤقتًا اسمه: «معروف مبارك» ... الغرفة «٣٨» ... الدور الثالث ... وهناك رجل من رجال الأمن يُدعى «سميح» مكلَّف بحمايته أيضًا فتعاوَنا معه ... إنه يعرف كلمة السر أيضًا.

أحمد: ما نوع التهديد الذي يتعرَّض له الرجل؟

رقم «صفر»: القتل أو الخطف.

أحمد: سنَذهب فورًا.

رقم «صفر»: سأتَّصل بكما بعد نصف ساعة هناك لأُعطيكُما بقية التعليمات.

وضع «أحمد» السماعة وكان «عثمان» قد استيقظ واستمع إلى طرف من الحديث فغادَرَ فراشه، وكذلك فعل «أحمد»، وسرعان ما ارتدَيا ملابسهما ... جاكيت من الجلد المبطن بالفَرو، وبنطلون من القماش السميك، وحذاء مرتفع.

ونزلا سريعًا واتَّجها إلى «جاراج» العمارة التي يُقيمان فيها ... كانت الريح عاصفة ... والمطر يهطل بشدة ... و«أحمد» يُدير السيارة خارجًا من «الجاراج» بسرعة ...

كانت شوارع بيروت خالية في هذه الساعة المتأخِّرة ... فأطلق «أحمد» العنان لسيارته رغم الأرض الزلقة ... و«أحمد» يروي لـ «عثمان» بسرعة المهمة التي كُلفا بها ... وكان «عثمان» يضع يده على جيبه حيث توجد الكُرة المطاط ... هذه الكرة التي تمثل سلاحًا رهيبًا مع هذا الشيطان ذي الذراع المفتولة ... فبإمكانه أن يَقذفَها بشدة على بُعد عشرين مترًا، فتُصيب من تَرتطِم برأسه بضربة تكفي لإلقائه أرضًا دون أن تُحدِثَ صوتًا على الإطلاق.

مرقَتِ السيارة الحمراء الرياضية عبر شوارع بيروت حتى وصلَت إلى مشارف المدينة النائمة ... واقتربت من فندق نورماندي فركنها «أحمد» بعيدًا حتى لا تلفت الأنظار. ثم نزل الصديقان واجتازا الشارع جريًا حتى وصلا إلى مدخل الفندق ... ودخَلا ... كانت صالة الفندق خالية إلا من فَرَّاش نائم في مقعدِه، وموظف الاستعلامات الذي كان يُدير لهما ظهره.

قال «أحمد»: فرصة ... سنتَّجه إلى المصعد فورًا ... إلا إذا نادانا أحد.

واتجها إلى المصعد بخطوات سريعة خفيفة ... ولحسن الحظ لم يرَهما أحد. وضغط «أحمد» على زرار رقم «٣» وتحرك المصعد ووصَلا إلى الدور الثالث، واتجها إلى الغرفة رقم «٣٨».

دقَّ «أحمد» الباب ووقفا ينتظران ... ولكن الباب لم يُفتح ... ودقَّ «أحمد» دقًّا قويًّا ... ولكن مضت الدقائق دون أن يفتح أحد.

قال «عثمان»: هل أنت متأكِّد من رقم الدور ورقم الغرفة؟

أحمد: طبعًا ... الدور الثالث غرفة «٣٨».

وتقدم «عثمان» ودقَّ الباب بشدة ... ولكنَّ أحدًا لم يفتح.

قال «أحمد»: لن نستطيع أن ندقَّ الباب أكثر من هذا وإلا لفتْنا إلينا الأنظار في هذه الساعة المتأخِّرة.

عثمان: هل نعود؟

أحمد: لا ... سأفتح الباب.

ومَدَّ يده إلى جيبِه الخلفي، وأخرج أداة صغيرة ألصقها بثقب الباب وأخذ يُديرها إلى اليمين وإلى اليسار ثوانيَ قليلة، ثم سمعا تكة خفيفة وانفتَح الباب ودخلا وأغلقاه خلفهما.

كانت الغرفة مُضاءة ... ولم يكن الرجل الذي قَدما من أجله فيها ... وأحسَّا على الفور أن تيار هواء شديدًا يأتي من ناحية الحمَّام، فأسرعا إليه ... كان الحمَّام مُضاءً هو الآخر ونافذته مفتوحة ... ولم يكن للرجل الذي حضَرا لحمايتِه أيُّ أثر.

نظر «أحمد» من نافذة الحمَّام المفتوحة إلى الشارع، كان المطر يتساقط بشدة، ولا أثر لمخلوق.

والتفَتَ «أحمد» إلى «عثمان» وقال: رغم أنه من الواضح أن الرجل غير موجود فعلينا أن نبحث ونُفتِّش كل سنتيمتر هنا.

وأخذا يفتشان ... ولم يكن هناك أثر لمخلوق ... لا تحت الفراش، ولا في الدولاب.

وقال «عثمان»: لعله لم يحضر.

أخذ «أحمد» يتشمَّم الجو حوله ككلب الصيد ثم قال: لقد كان هنا أشخاص قبل حضورنا بقليل ... هناك رائحة إنسان.

وقلد «عثمان» ما فعل «أحمد» خاصة في أركان الحجرة؛ حيث لم يصل الهواء الذي كان يأتي من النافذة ... ثم قال: أظن ذلك.

أحمد: هل تعتقد أنه خرج؟

عثمان: ولماذا ترك النافذة مفتوحة؟

أحمد: هذا هو السؤال؟!

عثمان: هل خُطِف؟

أحمد: لا نستطيع الجزم بهذا الآن ... وإن كنتُ أرجِّح أن هذا ما حدث ... خاصةً هذه النافذة المفتوحة، إنها توحي بأفكار كثيرة.

عثمان: وما هي خطوتنا القادمة؟

أحمد: سنبقى هنا نتلقَّى تعليمات رقم «صفر».

وفي هذه اللحظة سمعا طرقات على الباب ... أشار «أحمد» لـ «عثمان» أن يَختفي بجوار الدولاب استعدادًا لأيِّ تطور ... وأسرع «عثمان» بالاختباء وأخرج كرته المطاط، وأسرع «أحمد» يفتح الباب سنتيمترًا واحدًا، ونظر إلى الخارج ... كان ثمة رجل يقف ...

وقال الرجل: تبولة ... بدون بصل ...

وفتح «أحمد» الباب ودخل الرجل ... كان طويل القامة ... أبيض اللون ... مقصوص الشعر ذا عينين نفاذتين ... وأغلق «أحمد» الباب واستند عليه ... كان يتساءل: «هل هو «معروف مبارك»؟! أم رجل الأمن المكلَّف بحمايته؟!» وقرر أن ينتظر حديث الرجل ... وسرعان ما تحدث قائلًا: أين «معروف»؟!

وأدرك «أحمد» على الفور أنه ليس الرجل الذي قدما لحمايته فقال: لقد حضرنا منذ لحظات، ولكنَّنا لم نجده!

وبرز «عثمان» في تلك اللحظة، ونظر إليه الرجل ثمَّ قال: وأين ذهب؟!

عثمان: كنا نسأل منذ لحظات نفس السؤال.

الرجل: ألم يترك خلفه رسالة؟

أحمد: لا شيء على الإطلاق ... لقد فتَّشنا المكان جيدًا.

واتجه الرجل إلى الحمَّام وسار «أحمد» خلفه ... واتجه إلى النافذة وأطلَّ منها بينما وقف «أحمد» وسط الحمَّام يتأمل كلَّ ما فيه ... ولفت نظره خطوط مكتوبة بالصابون على المرآة واقترب منها يتأمَّلها، وسمع خطوات الرجل خلفه، فتظاهر بأنه يغسل يديه ... فتركه الرجل وذهب إلى الغرفة.

أخذ «أحمد» يتأمل الخطوط ... كان واضحًا أنها محاولة للكتابة بقطعة صابون على المرآة وأن كاتبها كان في عجلة من أمره ... واستطاع «أحمد» بمجهودٍ أن يقرأ «سينما ٩٩».

وفكَّر «أحمد» لحظات ثم مسح الكتابة وعاد إلى الغرفة ... وكان جرس التليفون يدقُّ وكان «عثمان» أقرب إليه فردَّ ... كان المتحدث هو رقم «صفر» ... وأخذ «عثمان» يَستمع ويرد: لم نَجِده.

– لا نعرف.
– نُرجِّح أنه هرَب أو اختُطف.
– نعم ... رجل الأمن معنا.
وسلَّم «عثمان» السماعة إلى رجل الأمن الذي أخذ يستمع ويردُّ هو الآخر: لا أدري.
– حضرت بعدهما بقليل.
– أُرجِّح أنه هرَبَ من نافذة الحمَّام، فمن المُمكِن النزول على المواسير إلى الشارع، ومع ذلك سوف أقوم مع رجالي ببحث كل شيء.
وطلب «أحمد» أن يحدث رقم «صفر» وقال له هامسًا: أرجو أن تُحدِّثني بعد ربع ساعة في المنزل!
ووضَعَ «أحمد» السماعة وأشار لـ «عثمان» فخرَجا، وسرعان ما كانت السيارة تعود بهما إلى شقتهما الصغيرة.
وفي الطريق قال «عثمان»: مُهمَّة فاشِلة!
قال «أحمد» متأملًا: لعلها لم تنتهِ بعد، لقد وجدت على مرآة الحمَّام كلامًا مكتوبًا بالصابون ... لعلَّ له معنًى ... ولعلَّ لا معنى له على الإطلاق ... وإن كنتُ أرجِّح أن له صلة بالرجل الذي اختفى.

كانا يسيران على الكورنيش ... والسماء تُمطر، والأرض زلقة ... والسيارة تشقُّ طريقها وسط المياه كأنها تعوم ... وفجأة تحت أنوار السيارة شاهد «أحمد» سيارةً تخرج من طريقٍ جانبي مخالفة قوانين المرور وتقبل عليه مسرعة في الاتجاه المضاد وأسرع يتفاداها ويدوس على الفرامل، ويغير اتجاهه في نفس الوقت ... ولكن قدمه التي امتدَّت إلى الفرامل مضت في طريقها إلى أقصى الفرامل دون أن يحسَّ بالمقاومة المعتادة للفرملة تحت قدمه ... وأدرك أن الفرامل لا تعمل ... ومضت السيارة على الأرض الزلقة تدور بلا وعي وهو يُحاول السيطرة عليها ... وانزلقت بسرعة وبشدة في اتجاه الكورنيش وكادت تَقتحمُه وتسقُط في البحر ولكنه أدار المقود بسرعة بعد أن رفع قدمه عن البنزين تمامًا وأخذت العربة تتأرجَح في كل اتجاه وتدور ثم اصطدمت بجدار الكورنيش وتوقَّفَت.
نزل «أحمد» و«عثمان» مُسرعَين ... وكان المطر ما زال يهطل مدرارًا ... ومن بعيد شاهَدا ضوء سيارة مقبلة بسرعة ... واقتربت منهما ... فأسرع «عثمان» إلى وسط الشارع يُشير إليها ليركباها. وفجأة صاح «أحمد»: انبطح على الأرض.
ورغم زمجرة الريح، سمع «عثمان» تحذير «أحمد» وألقى بنفسه على الأرض وفي نفس اللحظة برز من نافذة السيارة مدفع رشاش أطلق سيلًا من الرصاص في اتجاه

«عثمان» ثمَّ في اتجاه «أحمد» الذي احتمى بسيارته المحطمة ... ومضَت السيارة المُعتدية مُبتعِدة ... وأسرع «عثمان» فوقف واتجه إلى «أحمد» فوجده واقفًا بجوار السيارة مرسلًا بصره خلف السيارة المجهولة التي انحرفت في أول انحناءة واختفت عن عيونهما.

قال «أحمد»: لنُسرع إلى الحواري الصغيرة ... إن الكورنيش ليس مكانًا آمنًا!

عثمان: شيءٌ مثير!

أحمد: المهم أن نصل بسرعة إلى المنزل ... لا بُدَّ أن أُخبر رقم «صفر» بما حدث، وبما وجدته في حمَّام غرفة الفندق.

وأسرعا يَحتميان بالمنازل ... كانا يقيسان كل خطوة، ويتقدمان وكلٌّ منهما يَحمي الآخر قبل التقدم.

وعندما وصلا أخيرًا إلى الشقة الصغيرة التي يعيشان فيها كان الفجر يطلع فوق بيروت والمطر يتناقص ويتحوَّل إلى خيوط رفيعة هادئة.

كانت ملابسهما ملوثة بالوحل وماء المطر، فغيَّرا ملابسهما مُسرعَين، ودخل «عثمان» إلى المطبخ يُعدُّ إفطارًا وكوبين من الشاي ... ودق جرس التليفون وكان رقم «صفر» هو المتحدث. وروى له «أحمد» ما حدث لهما في الساعات الماضية منذ كلَّفهما بالتوجه إلى فندق نورماندي وما قرأه على المرآة في الحمَّام ... والفرامل التي عُطبت ... ورصاص المدفع الرشاش.

واستمع «أحمد» إلى تعليمات رقم «صفر» ثم وضع السماعة وأسرع إلى «عثمان» في المطبخ قائلًا: اترُك كلَّ شيء الآن، سنَنتقِل إلى منزل آخر أعطاني عنوانه رقم «صفر» وسينضمُّ إلينا «إلهام» و«خالد» و«زبيدة» وقد نَستدعي بعض الشياطين الآخرين ... وستصلنا تعليمات في التاسعة صباحًا.

سينما «٩٩»

أخذا بعض حاجاتهما الضرورية، ونزَلا السلَّم مُسرعَين ... كانا يَسكنان في الدور الرابع في عمارة بلا مصعد ... وغادرا الدور الرابع ... ووصلا إلى الدور الثالث ... وسمعا صوت أقدام تصعد مسرعة ... وقبل أن يتمكَّنا من رؤية القادمين، شاهد «أحمد» الذي كان في المقدمة مسدَّسًا يمتدُّ إليه، ووجهًا شرسًا يواجهه قائلًا: «قفا ولا تتحرَّكا ...» ولكن هذا الأمر لم يكَدْ يَنطلِق من فم صاحبه، حتى انطلق قدم «أحمد» في ضربة قوية أطارت المسدس من يده، ثم انقضَّ عليه كالصاعقة، وفي أسفل السلم بدا رجل آخر وفي يده مسدس. وأخذ يصعد السلم مُسرعًا، وفي سرعة البرق أخرج «عثمان» كرته المطاط وأطلقها كالقُنبلة، فأصابت الرجل في رأسه إصابة مباشرة، سقط على أثرها كأنه غرارة من التبن، وأسرع «عثمان» إلى «أحمد» الذي كان هو والرجل الأول يتدحرَجان على السلَّم في صراع مُميت، وامتدت يدا «عثمان» سريعًا إلى إحدى ذراعي الرجل ولوتْها إلى الخلف حتى فرقعَت كأنها ستَنكسِر ... وصاح الرجل من فرط الألم، ولكن صيحته انتهت بلَكمة عنيفة من يد «أحمد» أغلقت فمه. وأسرع «عثمان» يلتقط كرته الجهنَّمية وطارا على السلالم وغادرا العمارة ... وعندما وصلا إلى الطريق شاهدا سيارة تقف على الرصيف المقابل ومحرِّكُها دائر ... وكان الرجل الذي يقودها يجلس إلى المقود مُتظاهرًا بقراءة جريدة ... ولكنَّه لمحهما، ففتح باب السيارة ونزل ... ولكنه تهاوى على الأرض بعد أن عبرت كرة المطاط الشارع كالقذيفة وأصابتْه في رأسه.

قال «أحمد»: هيا بنا سريعًا.

رد «عثمان»: لحظة واحدة لأُحضرَ حبيبتي.

وأسرع «عثمان» يلتقط كرته المطاط ... ثم اتجها إلى أقرب مُنحنًى ودخلاه، ومضيا مسرعين تحت المطر الخفيف.

قال «عثمان»: هل معك عنوان المسكن الجديد؟

أحمد: نعم.

عثمان: لماذا لم تأخذ سيارتي؟

أحمد: قد يعرف هؤلاء المجهولُون مكاننا بواسطتها ... سنركب تاكسيًا!

وعثرا على تاكسي عند قمة شارع، واستقلاه، وزيادة في الحذر نزلا قبل مسكنهما الجديد بمسافة كبيرة، ثم سارا على أقدامهما حتى وصلا إلى هناك. وكانت الساعة تدقُّ السادسة صباحًا ... وبدأ «عثمان» الاتصال ببقية الشياطين.

بعد ساعة من وصول «عثمان» و«أحمد» إلى مقرِّهما الجديد، توافد بقية الشياطين المقيمين في بيروت وهُم «إلهام» و«زبيدة» و«خالد»، وبالطبع كان «أحمد» أكثر الشياطين سعادةً بهذا الاجتماع؛ فقد كانت تعليمات رقم «صفر» أن يعيشوا متفرِّقين حتى لا يَلفتُوا إليهم الأنظار، أما وقد بدأت مغامرة جديدة ... فلا بُدَّ أن يكونوا معًا ...

وقف «أحمد» على باب المنزل ينتظر حضور «إلهام» ولم يَكَد يراها حتى قفز بجسده الرياضي عبر الشارع وفتح لها باب السيارة ... قدَّمت «إلهام» يدها إليه وتعانقت اليدان لحظات ... وفي المصعد مدَّ يده إلى كتفها وأمسكها بحنان ... والتقَت عيناهما في شوق ولهفة ... ولم يتمالَك «أحمد» نفسه فوضع على شعرها الجميل قُبلة أودَعَها بعضَ ما يَحمِل قلبُه من حب.

واجتمع الشياطين الخمسة ... وشرح لهم «أحمد» الموقف ... كل شيء بدقة منذ اتصل به رقم «صفر» وطلب منه الإسراع لحماية «معروف مبارك» حتى اضطرارهما لتغيير مكانهما هو و«عثمان» واستدعاء بقية الشياطين المقيمين في بيروت.

قالت «زبيدة»: وما هي الخطوة التالية؟

نظر «أحمد» في ساعته ثم قال: بعد سبع عشرة دقيقة من الآن سيتَّصل بنا رقم «صفر» وسنعرف خطوتنا التالية.

وانهمكوا في الحديث عن مغامرتهم السابقة «ثعالب الخليج» والحوادث المثيرة التي مرُّوا بها.

وفي التاسعة تمامًا دقَّ جرس التليفون. وأسرع «أحمد» يردُّ وكان المتحدث هو رقم «صفر» ... وروى له «أحمد» محاولة الاعتداء عليه هو و«عثمان» وكيف صرَعا الرجلين وتركاهما على سلَّم المنزل، ثم رجل السيارة الذي أصابته الكرة المطاط.

قال رقم «صفر»: عظيم ... وأرجو أن تظلُّوا محافظين على تنفيذ تعليماتي الخاصة بالاشتباك مع الغير ... لا تنتظروا تدخل الشرطة حتى لا تخضعُوا للاستجواب فإني أُريدُكم باستمرار بعيدًا عن الأضواء.

أحمد: إن هذا ما نُنفِّذُه بدقَّة ... ولكن السؤال: كيف اهتدى الرجال الثلاثة إلى مقرنا؟

رقم «صفر»: لا أدري ... ولكن سأبحث الأمر!

أحمد: أخشى أن يكون مقرنا الجديد معروفًا أيضًا!

رقم «صفر»: مقركم الجديد لا يعرفه أحد سواي ... أما مقرُّكم السابق فلم يكن يعرفه إلا رجل الأمن الذي أرسلتُه لحماية «معروف مبارك» وطلبت منكما التعاون معه.

أحمد: شيء غريب!

رقم «صفر»: سأقول لك القصة كاملة ... قصة «معروف مبارك» ... إنه واحد من ١١ عالِمًا عربيًّا اختُطفُوا في ظروف غامضة خلال الأعوام الثلاثة الماضية، وهو دكتور في الكيمياء ... كان يعمل في أحد مراكز البحث العلمي في بلدٍ عربي ... وكان البحث الذي يعمل فيه هو وقود الطائرات ... ومنذ عامين اختفى الدكتور واختفت آثاره تمامًا ... وفقدنا الأمل في العثور عليه ... ثم اتصل ليلة أمس بأحد أرقام تليفوناتي السرية التي لا يعرفها إلا القليل ممَّن يتعاملون معي ... وقال إنه استطاع الهرب وإنه نزل في فندق نورماندي وطلب حمايته ... وقد اتصل بي أنا بالذات لأنني كنت المسئول عن حمايته، كما أن أكثر العلماء لم يكونوا يُصدِّقون أنه سيصل إلى شيء ... ولكني كنت أُصَدِّقُه.

أحمد: إنها قصة في منتهى الإثارة.

رقم «صفر»: طبعًا وفي منتهى الأهمية ... فالبحث الذي كان يُجريه لا مثيل له في العالم. فقد كان يحاول اكتشاف نوع من الوقود الجاف بدلًا من البنزين ... تكفي كمية قليلة منه لمد الطائرة بالوقود لمسافة آلاف الكيلومترات، وهو وقودٌ رخيصٌ وخفيف الحمل ويوفِّر قدرًا كبيرًا من الأمن. وكذلك كانت الأبحاث التي كان يعمل بها بقية العلماء على نفس الدرجة من الأهمية! لهذا من المهم جدًّا العثور على الدكتور «معروف» ... فقد يدلُّنا على بقية العلماء ... وأنا مقتنع الآن أن خطفه دليل على جدية البحث الذي يُجريه.

أحمد: هل لك استنتاجات معيَّنة حول ما تركه من كتابة بالصابون على مرآة الحمَّام؟

رقم «صفر»: أُرجِّح أنها رسالة تركها في مكانٍ معيَّن ... وسينما «٩٩» مسألة غير مفهومة، فليس في بيروت سينما بهذا الاسم.

أحمد: سنناقش أنا وزملائي هذه الجملة الغريبة ... وأقترح أن تنضمَّ إلينا «ريما» من الأردن لأنها درست الرسائل الشفرية، وحلَّ الرموز.

رقم «صفر»: سأُرسلُ في طلبها فورًا ... وستنضم إليكم هذا المساء. وسأُتابع تحريات صديقنا رجل الأمن ... فقد يَعثُر على أثر للدكتور «معروف» وفي الوقت نفسه سألفت نظره إلى محاولة الاعتداء عليكما.

استسلم «أحمد» و«عثمان» للنوم بعد مغامرات الليل المرهقة ... بينما جلس بقية الشياطين وأمامهم كلمة سينما ورقم «٩٩» يُحاولُون الوصول إلى معرفة ماذا تعنيان ... وفي المساء وصلت «ريما» واستقبلها الشياطين استقبالًا حماسيًّا ... وسرعان ما كانت تستمع إلى قصة الأحداث الليلية التي جرت ... ثم وضع الشياطين أمامها كلمة سينما ورقم «٩٩» وقال «عثمان»: والآن أرجو أن تكشفي غباء هؤلاء الشياطين وتعرفي فورًا ما هي حكاية هذه الكلمة وهذا الرقم.

قالت «ريما» مبتسمة: إنني لستُ عقلًا إلكترونيًّا على كلِّ حال ... ولكني سأحاول. وغرقت في تفكير عميق ثم سألت: كم دارًا للسينما في بيروت؟

إلهام: حوالي ٣٠ دارًا للسينما!

ريما: إنني سأُقدِّم لكم عدة افتراضات: أولًا ألا تكون الكلمة هي سينما مثلًا ... قد تكون كلمة أُخرى ... ولكن دعوا هذا الافتراض جانبًا ... ولنعمل على أن الكلمة صحيحة ... والآن الرقم ... وهناك احتمالان: أن يكون رقمًا واحدًا، أو رقمين ... أي أنه إما «٩٩» أو «٩» و«٩» ... فإذا كان «٩٩» فهو يُمكن أن يكون رقم كرسيٍّ في صالة إحدى دور السينما ... وإذا كان رقمَين فرقم «٩» هو رقم الصف ... ورقم «٩» الآخر هو رقم الكرسي.

قال «عثمان» بإعجاب: مُدهِشة أنتِ يا «ريما»!

زبيدة: لقد خطرت لي بعض أفكار مُماثلة ... ولكن ألا يمكن أن يكون هذا موعدًا أمام دار سينما ... الساعة ٩ و٩ دقائق؟

ريما: مُمكن ... ولكن هل حدث يومًا أن أعطى أحد موعدًا في الساعة ٩ و٩ دقائق؟ هذا نادر جدًّا، ممكن ٩ و٥ دقائق مثلًا ... أو ٩ و١٠ دقائق ... ولكن ٩ و٩ مُستبعَد.

أحمد: معنى ذلك أن نبحث عن رسالة في الكرسي رقم «٩» في الصف رقم «٩»!

ريما: أعتقد ذلك ... وإن كانت ستكون مهمَّة صعبة طبعًا.

أحمد: إذن سنقوم جميعًا بدخول أكبر عدد من دور السينما هذه الليلة ... كل واحد يدخل سينما ويُحاول الحصول على المقعد رقم «٩» في الصف رقم «٩»، في حفلة الساعة السادسة، ثم الساعة التاسعة.

خالد: ولكن هل الصف رقم «٩» في الصالة أو البلكُون؟ ... وهل هو رقم «٩» من أول الصالة أو آخرها؟

أحمد: على كل واحد يدخل السينما أن يفحص كل كرسي في الصف رقم «٩» سواء في الصالة أو البلكون ... من الأمام أو الخلف ... من الشمال أو اليمين. إننا وراء سرٍّ سيهتزُّ له العالم. وفي سبيله لن يقف أمامنا شيء.

قالت «إلهام» ضاحكة: قد نجد المقعد المطلوب مشغولًا.

أحمد: في هذه الحالة انتظري حتى نهاية الفيلم حتى يُغادِر من يشغل الكرسي مكانه.

إلهام: وإذا كان الفيلم سخيفًا؟

وابتسم «أحمد» قائلًا: تحمَّلي!

وفي السادسة كان الشياطين الستة قد انطلقُوا واحدًا بعد واحد وانتشروا في أنحاء بيروت كلٌّ منهم يدخل دارًا للسينما بحثًا عن رسالة في مقعَد رقم «٩» في الصف رقم «٩» ذات اليمين وذات الشمال ... وهو لا يدري حتى أين تكون هذه الرسالة ... ولكن لم يكن أمامهم حلٌّ آخر لمعنى الرسالة المجهولة والمكتوبة بالصابون على مرآة في حمَّام.

وقف «أحمد» في الصف أمام سينما ستراند وكان الصف يتقدَّم ببطء؛ فقد كان الزحام شديدًا على السينما. فهي تَعرِض فيلمًا بطولة بريجيت باردو، وأحسَّ «أحمد» إحساسًا غامضًا بأنه مُراقَب ولكنه لم يلتفت حوله مطلقًا، لقد تعلم أن يَستسلِم للمراقبة حتى لا يشكَّ المراقِب ... إنه مراقَب. وهكذا يُمكن التعرف عليه بعد فترة. وكان يُدرِك أن من يراقبه لا بد أن يقف خلفه حتى يعرف حركاته وفي نفس الوقت لا يكشف نفسه ... فهل كان المراقب في الصف، وهل هناك محاولة للعنف، إنه وحده وقد تُغري وحدته من يُراقبونَه أو يطاردونه بالاعتداء عليه، ولم يمضِ بعدُ أكثرُ من ١٢ ساعة على محاولة قتلِه أو اختطافه هو و«عثمان».

ولكن ... من الذي يَعرفه في بيروت ... ليس هناك سوى رجل الأمن الذي كان مكلَّفًا بحماية «معروف مبارك» فلماذا يتعقَّبه ... أو يرسل من يتعقبه، وأخذ يستعرض شريط الأحداث الذي مر به. وخطرت له أكثر من فكرة.

ووصل إلى الشباك ونظر في لوحة المقاعِد، وأخذ يعدُّ بسرعة ٩ صفوف، ثم الكرسي التاسع. ولحسن الحظ وجده خاليًا. وبينما يضع أصبعه على الكرسي المطلوب وجد من يقف خلفَه ويَميلُ بشدَّة ليراه وهو يَختار كرسيه. ولدهشته الشديدة كانت فتاة حسناء. هل هي المكلَّفة بمراقبته؟! شيء مثير حقًّا إذا صحَّ ما توقعه ...

وحصل على التذكرة ودخل السينما. ودخلت الفتاة خلفَه. وكان قد أعطى تذكرته «للبلاسيه» الذي يتولى إرشاد الروَّاد إلى أماكنهم وسار خلفه. وبعد أن جلس في مقعده، وجد الرجل يعود ومعه الفتاة وأشار إلى المقعد الخالي بجواره.

وأحس بالفتاة تخلع البالطو الذي تلبسه ... فترتفع إلى أنفه رائحة جذابة مُسكِرة، وفجأة وجد كوعها يخبطه في كتفه وهي تخلع البالطو. ولم يكن هناك بُدٌّ من أن ينظر إليها. ووجدها تبتسم له ابتسامة جذابة كشفَت عن صفَّين من الأسنان الصغيرة شديدة البياض ... وقالت في لهجة مهذبة جدًّا: آسفة جدًّا ... إنني ...!

ورد عليها في هدوء: أبدًا لم يحدث شيء!

ولم تكتفِ بالرد ومضت تقول: هل آلمتك؟

وقبل أن يردَّ عليها أطفأت السينما أنوارها وبدأ عرض بعض الأشرطة المسلية التي تسبق الفيلم. ولكن «أحمد» لم يكن يُتابع ما يراه ... كان يفكر أن الفتاة الجميلة التي بجواره تُريد التعرف عليه ... هل هي صدفة مرةً أخرى؟! أم شيء آخر؟!

على الطريقة الأمريكية

في الاستراحة التي تسبق عرض الفيلم ... عاودت الحسناءُ الحديثَ مع «أحمد». كان واضحًا أنها تتعمد أن تتعرَّف به. وراودته أحلام الشباب لحظات. ربما مثلًا أنها أعجبت به، ربما هي فتاة قلبها متعطِّش إلى الحب، ورأت فيه فارس الأحلام. ولكن حواس المغامِر فيه كانت أقوى من أحلامه. خاصة عندما تذكر «إلهام» ... إنَّ قلبه لا يتسع إلا لواحدة ... وهذه الواحدة هي زميلة العمل والمغامرة.

وبدلًا من أن يلعب دور فارس الأحلام ... لعب فورًا دور المغامر الحذر ... فجاراها في الحديث، وهو يزن كل كلمة يسمعها وكل كلمة يقولها. وفي نفس الوقت كانت أصابعه تتحسَّس المقعد الذي يجلس عليه ... ويعدُّ الصفوف من الأمام والخلف. ومن اليمين واليسار ويُحدِّث نفسه «إن «معروف» هذا رجل غريب ... فقد ترك رسالة في دار سينما حافلة بالرواد.» وانطفأت الأنوار وبدأ الفيلم. ولم تمضِ سوى دقائق بعد ظهور بريجيت باردو حتى أحسَّ «أحمد» بيد الفتاة تمتد إلى يده ... فأمسك بيدها ... يد صغيرة دافئة وأسندت الفتاة رأسها إلى كتفه.

وتوالت أحداث الفيلم، وعندما انتهى العرض وأُضيئَت الأنوار ارتدَت الفتاة البالطو، ثم وضعت ذراعها في ذراعه كأنهما صديقان قديمان، وخرجا دون أن يتمَّ تفتيش المقاعد وهي المهمَّة التي حضر من أجلها، ولكنه كان يُدرك أن لغز الكرسي رقم «٩٩» يستطيع أن ينتظر ... فهذه الفتاة سوف تضعه أمام أعدائه المجهولين وجهًا لوجه ... وخرجا في الزحام، وعندما وصلا إلى الشارع قالت له: إن معي سيارتي وأستطيع توصيلك إلى أيِّ مكانٍ تشاء.

قال دون تفكير: فلنذهب إلى «الروشة» ... إن صديقًا بانتظاري هناك.

كانت سيارة أنيقة من طراز داتسون الياباني. وركبت، وركب بجوارها وأدارت المحرك وانطلقت ببطء في شوارع بيروت المزدحمة.

قالت له في رقة: هل موعدك في الروشة مهمٌّ جدًّا؟

قال بهدوء: ليس عندي بديل!

قالت برقة أكثر: ما رأيك أن يكون البديل ... موعدًا معي؟

رد «أحمد»: إن ذلك شرف لا أحلُم به!

ودارت في أحد الشوارع الفرعية وانطلقت مسرعة، وعند الطرف الآخر من الشارع هدَّأت من سرعتها قبل أن تدخل إلى الميدان التالي. وفجأةً برَزَ رجل من باب منزل وفتح باب السيارة الخلفي وركب ... وأحسَّ «أحمد» بفوَّهة مسدس باردة تلتصق برقبته من الخلف ... لقد أصبح ظهرًا لوجه مع عدوه المجهول وسمع صوتًا يقول: إنك ضيفُنا المبجَّل إذا لم ترتكب حماقة!

وتراجعت فوهة المسدس عن رقبته وقال الرجل: سيظلُّ مسدسي مصوبًا إلى رأسك فكن عاقلًا ... ولا داعي في نفس الوقت أن تسأل أسئلة فليست هناك إجابات.

ومضت السيارة تشقُّ طريقها مسرعة بعيدًا عن الشوارع المزدحمة. وكانت تتباطأ أحيانًا وكان في استطاعة «أحمد» أن يَهرُب ولكنه قرر أن يمضي في المغامرة إلى نهايتها ... إن ما يهمه الآن أن يعرف هؤلاء الأعداء ... من هم؟ ماذا يريدون؟

وغادرت السيارة بيروت وانطلقت في طريق الجبل. كانت الفتاة تقود السيارة ببراعة حسدها عليها «أحمد». وكانت عينه تتجه إلى مؤشر السرعة وهو يقفز: ١٠٠ ميل – ١٢٠ ميلًا – ١٣٠ ميلًا والفتاة هادئة ... وعطرها الجميل يملأ جو السيارة ...

وضع «أحمد» يده اليسرى على فخذه ونظر إلى الساعة ... وأخذ يحسب المدة التي قطعوها ... كانت ثلاثة أرباع الساعة. فهم على بعد ١٠٠ ميل تقريبًا من بيروت. وانعطفت السيارة في طرق مظلمة موحشة ... وبدأت تهتز وترتج ... والفتاة تقودها بمهارة ... وفجأة لمع في الظلام ضوء صغير يأتي من جانب أحد الجبال ... وأدرك «أحمد» أن وقت العمل قد حان فقال: أخشى أن تكونا قد أخطأتما ... فإنني لا أعرف سببًا لاختطافي إلا إذا كنتما تُريدان فدية مثلًا.

لم تردَّ الفتاة. ولكن الرجل قال: إننا نعرف ماذا نفعل! إنك رجلنا المقصود! ولن نطلب أي فدية عنك. إنك — وضحك الرجل — لا تُقدَّر بمال.

قال «أحمد» في الحال: ولكن لا بُدَّ أن أعرف لماذا اختطفتماني ... وإلى أين أنتما ذاهبان بي؟!

رد الرجل: ستعرف فورًا لماذا اختُطفتُم ... لم تبقَ سوى دقائق قليلة.

وكان هذا الرد هو ما يريده «أحمد» ... تسللتْ يده اليُمنى فأمسكت بمقبض الباب في هدوء وامتدت قدمه اليسرى في حذر شديد في اتجاه الفرامل ... ونظر حوله ورأى السيارة تقترب من الضوء وأدرك أنه ضوء المكان الذي تتَّجه إليه السيارة، وفجأةً مدَّ قدمه وداس الفرامل بكل قوته. وفي نفس الوقت فتح الباب ثم ألقى بنفسه في الخارج ... وانطلقت صيحة ألمٍ من الفتاة التي داس على قدمها ... وانطلقت رصاصة سمع على أثرها صوت تحطيم زجاج السيارة.

أخذ يتدحرج دون أن يقف بينما سمع صوت باب السيارة يُفتح ولعنات تنطلق في الظلام.

لقد عرف إلى أين هو ذاهب وكان هذا كل ما يُريد معرفته. فلا بُدَّ أنه ليس المخطوف الوحيد من الشياطين الستَّة الذين خرجوا إلى دور السينما.

فما دام هو مراقبًا، فهم أيضًا مراقبون، وما دام هو اختُطف ... فلا بُدَّ أن العدوَّ المجهول قد اختطف أو حاول أن يَختطِف غيره ... خاصة عندما أخطأ الرجل وقال: «ستعرف فورًا لماذا اختُطفتُم ...» فهناك إذن مخطوفون آخرون.

بعد أن تدحرج نحو ١٠٠ متر على سفح الجبل ... توقف، ثم وقف مسرعًا، واختار صخرة قريبة واختفى خلفها ... وأخذ يَستمِع في صمت عميق محاولًا تتبُّع محاولات الرجل في تعقبه، فالفتاة بالطبع لن تشترك في المطاردة.

كانت خطة «أحمد» تَعتمِد على مفاجأة من ينتظرون حضوره أسيرًا. إنهم الآن عند مصدر الضوء في انتظار حضوره مرفوع الذراعَين وخلفه خاطفته الحسناء ... ومهمَّته الآن أن يصل إلى مقر الأعداء قبل إنذارهم بفرارِه ... وكان أمله أن يطارده الرجل وأن يتغلب عليه ... ثم تكون مهمته مع الفتاة سهلة!

وصح ما توقعه. فقد سمع صوت قطع صغيرة من الصخور تتساقط على يمينه ... وكان القمر الذي يختفي خلف الغيوم قد تسلَّلت حزمة من أشعته الفضية فرشَت الجبل واستطاع أن يرى شبح الرجل، وعندما استدار شاهد في يدِه بطارية يُطلق منها خيطًا من الضوء بين فينة وأخرى.

تحرك «أحمد» سريعًا ودار بحيث يصبح خلف الرجل محاذرًا أن يحدث أي صوت لم يكن يريد أن يشتبك معه خاصةً وأنه مُسلَّح، وحتى لا يُضيِّع وقتًا أطول ... بل كان يريد أن يقضي عليه بضربة واحدة ... وكان الرجل يتتبع خط سقوط «أحمد» على السفح ووصَل

فعلًا إلى النقطة التي استقر عندها «أحمد» ... وفي خطوات سريعة كالفهد، انقض «أحمد» عليه ... وبضربة واحدة من سيف يده على عروق الرقبة سقط الرجل دون أن تصدُر منه آهة واحدة، وتدحرجت البطارية المضاءة على الأرض. وسرعان ما انحنى «أحمد» عليه وفك رباط رقبته وربط يديه مع قدميه من الخلف، ثم أخرج منديلَهُ وحشاه في فمه، والتقط مسدَّسه ووضعه في جيبه وأخذ يصعد الجبل مسرعًا في اتجاه السيارة وبيده البطارية.

كانت الفتاة قد غادرت السيارة وأخذت تمشي بجوارها رائحة غادية، فتقدم «أحمد» منها مسرعًا. كان متأكدًا أنها ستظنُّ أنه زميلها عندما تشاهد البطارية في يده ... وفعلًا رأته يصعد الجبل. ثم تقدم منها وأطلق بطاريته في وجهها بحيث يُعشِّي عينيها فصاحت: «جان» ... هل وجدته؟

ولم يردَّ «أحمد» حتى أصبح أمامها مباشرةً وقال: لقد جئت حسب الموعد الذي بيننا!

ترنَّحت الفتاة واستندَت إلى السيارة ... ثم فجأة حاولت دخولها وكان الباب مفتوحًا ولكن «أحمد» كان أسرع منها فمد يده وأمسكها من معصمها وقال بصوت هادئ: لا داعي للمقاومة وإلا قضيت الليل في هذا البرد وحدَكِ، وبدون المعطف الدافئ على الأرض ...

قالت بعصبية: ماذا حدث؟ أين «جان»؟

رد «أحمد»: سؤال غريب ... إن «جان» سيقضي ليلة هادئة في أحضان الطبيعة!

ثم قال «أحمد» بصوت صارم: والآن ساعديني لدفع العربة إلى هذا الكهف القريب.

ولم تجد بُدًّا من إطاعته. وبهدوء أخفى العربة، وأخذ مفاتيحها ثم قال: والآن ستأخذينني إلى أصدقائك فلي حديث معهم.

ولم يكدْ يبدآن السير حتى مرقَت أمامهم سيارة قادمة من الجبل القريب حيث الضوء في الطريق النازل إلى بيروت ... وكان من الواضح أن من في السيارة لم يَرونهما لأنَّ السيارة مضَت في طريقها دون توقف، ولاحظ «أحمد» أنها من طراز «لنكولن».

وسارا ... هي في الأمام و«أحمد» خلفها في اتجاه الضوء ... وكان «أحمد» يُفكِّر في السيارة التي مرقَت أمامهما ... وبعد مسيرة نحو عشر دقائق وصَلا إلى مصدر الضوء ... وكانت فيللا أنيقة من الخشب، وقد بُنيت تحت ظلال الشجر. وأوقفها «أحمد» على مبعدة، كان يريد استجوابها، وفي نفس الوقت كان يُريد أن يتصرف بسرعة. فقد أقلقته السيارة المسرعة.

قال لها: كم عدد الرجال هنا؟

أجابت: لا أعرف!

قال: من هم بالتحديد ... وماذا يريدون؟

أجابت: لا أعرف!

ولم يكن عنده وقت لأسئلة أُخرى رغم رغبته الجارفة في أن يعرف عن أعدائه أكثر.

وقال لها: ستتقدمينني ... ولا تُحاولي إنذار أحد ... فإن مسدَّس «جان» معي.

واجتازا مدخلًا مظللًا بالشجر، ودقت الفتاة الباب، وسمع «أحمد» وهو منزوٍ خلفها في الظلام طاقة صغيرة تُفتح في الباب ثم سمع صوتًا يقول: من؟

ردت الفتاة: جورجيت.

وسمع «أحمد» الباب وهو يفتح، وتحفَّز، وما كادت «جورجيت» تدخل حتى كان يدخل خلفها شاهرًا مسدسه.

شمل المكان بنظرة سريعة ... كان هناك رجل يَجلس على كرسي وقد مدَّ ساقيه أمامه في استرخاء ... ووضع مسدسًا على مائدة بجانبه ... وكان هناك الرجل الذي فتح الباب ولم يكن هناك أحد آخر ...

قال «أحمد» وهو يشهر مسدسه: أرجو ألا أضطرَّ إلى استخدام ...

ولكنه لم يكمل جملته فقد مد الرجل الجالس يده ليُمسك بمسدسه ... ولكن «أحمد» لم يمهله وانطلقت رصاصة من مسدسه أطارت المسدس بعيدًا، وهبَّ الرجل واقفًا مذعورًا ...

قال «أحمد»: لن أُحذِّرك مرةً أخرى ... الطلقة الثانية لن تكون بعيدة عن قلبك ... أين أصدقائي؟

لم يردَّ أحد. فصاح «أحمد»: أين هم؟

كان ثمة باب موارب، وكانت عينا أحد الرجلين قد اتجهَتا إليه فقال «أحمد»: أمامي ... أنتم الثلاثة ادخلوا هذه الغرفة.

وسارت «جورجيت» وتبعها الرجلان في صمت، وخلفهم «أحمد». كانت الغرفة مضاءة وبها فراش تمدد عليه «عثمان» مقيَّدًا ومُكمَّم الفم، وقال «أحمد»: «جورجيت» فكِّي هذه الأربطة فورًا.

ونفذت الفتاة المهمَّة المطلوبة منها بسرعة وقام «عثمان» فتمطَّى ثم قذف قبضته بسرعة البرق، فانقضَّت كالقنبلة على وجه الرجل الذي كان جالسًا على الكرسي عندما دخل «أحمد» وارتفع الرجل عن الأرض ثم طار إلى الخلف وسقط على الأرض الخشبية محدثًا صوتًا مدويًا.

وقال «عثمان»: آسف ... لقد كان نذلًا وضرَبني وأنا مُقيَّد لأعترف.

أحمد: هل كان معك أحد من الزملاء؟

عثمان: نعم ... «خالد» ... وقد أخذوه بالسيارة الآن إلى بيروت إلى عيادة أحد الأطباء.

قال «أحمد» فزعًا: لماذا؟

عثمان: إنهم يُحاولُون إرغامه على التقيُّؤ!

أحمد: يتقيَّأ ... لماذا؟

عثمان: لقد ابتلع الرسالة «٩٩»!

أحمد: هل عثَر عليها؟ ...

عثمان: نعم ... وعندما أحضرونا إلى هنا، وبدءوا تفتيشنا خشي أن تقع الرسالة في أيديهم فابتلعها.

أحمد: وماذا كان فيها؟

عثمان: لا أدري!

أحمد: هل قرأها؟

عثمان: لا أدري ... فقد حضرتُ قبله ولم نستطع أن نتحدث، ولكني شاهدته يبتلع الورقة ... وقد قال لهم إنه لم يَقرأها.

أحمد: هل تعرف إلى أي عيادة هم ذاهبون؟

عثمان: لا!

التفت «أحمد» إلى الرجل الواقف وقال في صرامة: إلى أي عيادة؟

تردَّد الرجل لحظات ثم قال: لا أدري.

وتقدم «عثمان» منه وأمسك بأصابع يده وثناها إلى الخلف بشدةٍ فرقعت لها العظام وصاح الرجل متألمًا.

عثمان: أين؟

الرجل: في شارع الأمير عمر ... عيادة الدكتور مصابني.

أحمد: وهل خطفتم الفتيات كما خطفتمونا؟

الرجل: كان المفروض أن نخطفكَم أنتم الثلاثة أولًا في حفلة الساعة السادسة ... ثم نخطف الفتيات بعد ذلك؛ أي في حفلة الساعة التاسعة، ولكن عندما عثَر زميلكم على الرسالة لم نجد داعيًا بعد ذلك لخطف الفتيات.

وطرح «عثمان» الرجل أرضًا وقيَّده، وقيد الرجل الآخر، وقال «أحمد»: هيا بسرعة فقد نلحقهم في الطريق إذا أسرعنا ... وإن كنت أعتقد أن السيارة اللنكولن وهي ذات اثنَي عشر سلندرًا أسرع بكثير منا.

الرسالة السرية

أسرع «أحمد» وهو يجر «جورجيت» من يدها ووراءهما «عثمان» خارجين، وجروا إلى حيث كانت تقف السيارة.

وقال «أحمد»: «جورجيت» ... سوف تقودين أنتِ السيارة ... إنك تعرفين الطريق جيدًا ... وحذار من الخداع ... هيه بسرعة.

وسلم «أحمد» المفاتيح للفتاة التي أدارت السيارة، ثم أطلقت لها العنان و«أحمد» يجلس بجوارها والمسدس في يده ... و«عثمان» يجلس في الخلف.

قال «أحمد»: كيف أحضروكَ إلى هنا؟

عثمان: قصة مضحكة ... فعند خروجي من السينما احتكَّ بي شخص بطريقة استفزازية فدفعته بيدي، ولم أدرِ إلا وأنا في وسط مشاجرة ضخمة ... اشترك فيها عدد كبير من الأشخاص، وتقدَّم شرطي واقتادني أنا واثنين من المتشاجِرين في الطريق إلى قسم الشرطة كما فهمت ... ولكن السيارة لم تمضِ إلى قسم الشرطة، وأحضرتْني هنا تحت تهديد مسدس.

أحمد: كان شرطيًّا مزيفًا!

عثمان: فعلًا: ولم أتبين ذلك إلا بعد فوات الأوان.

أحمد: وماذا بالنسبة لـ «خالد»؟

عثمان: لا أدري ... فنحن لم نتبادل كلمة واحدة!

وانطلقت السيارة و«أحمد» يُراقب عداد السرعة وهو يقفز بعد المائة إلى مائة وعشرين ... مائة وثلاثين ... مائة وأربعين ...

وساد الصمت، ولم يعدْ يسمع في الجبل الواسع إلا صوت محرك السيارة وهي تهدر بسرعتها الرهيبة في طريق الجبل المُلتوي ... كانت «جورجيت» صامتة ... وكانت تقود

السيارة بمهارة واضحة ... بل وبحماس أيضًا لفَت نظر «أحمد» فقال لها: لا أريد أن أشغلك عن القيادة، ولكنك متحمسة للمطاردة!

قالت «جورجيت» دون أن تحوِّل رأسها: لقد خدعوني.

أحمد: كيف؟

جورجيت: لقد أفهمني «جان» بأني سأقوم بدور في القبض على لصٍّ خطير ... ولكن ما شاهدته حتى الآن يدلُّ على أنني انغمستُ في مغامرة فيها ضرب واعتداء على شبان ظرفاء لا يبدو أبدًا أنهم لصوص!

أحمد: أنتِ إذن لستِ من العصابة؟

جورجيت: عصابة ... أنا ... إنني محامية.

وضحك «أحمد» و«عثمان» رغم التوتُّر الذي يشعران به. وقال «أحمد»: وكيف قابلته؟!

جورجيت: على طريق دمشق–بيروت!

أحمد: أنتِ قادمة من دمشق إذن؟

جورجيت: نعم ... وقد كان «جان» ومعه صديق له يَركبان سيارة ويبدو أنهما كانا يسيران بسرعة فقد اصطدما بصخرة وكادا يَلقيان حتفهما، وقد أشارا إليَّ فتوقفت، وركبا معي، وعرضا عليَّ مبلغًا كبيرًا من المال إذا استطعت اللحاق بسيارة قالا إن فيها لصًّا هاربًا ... ولما كنت من هواة قيادة السيارات بسرعة فلم أتردَّد ... ولكن يبدو أن الرجل قد سبقنا بمسافة طويلة. فدخلنا بيروت دون أن نعثر له على أثر.

اهتم «أحمد» بهذه المعلومات جدًّا وقال: وبعد ذلك؟

جورجيت: تركتُهما بعد أن أخذا عنواني للاتصال بي في حالة ما إذا احتاجا إلى خدماتي ... إذ أنني كنت مقتنعة أنهما كانا يخدمان العدالة ... ويُحاولان القبض على مجرم ... وقد اتصلا بي اليوم للتعرُّف بك في السينما.

وانقضى وقت طويل دون أن يُشاهد «أحمد» أثرًا للسيارة «اللنكولن» التي سبقتْهم والتي كانت تحمل «خالد» إلى عيادة الدكتور مصابني. وأشرفوا على بيروت دون أن يلحقوا بالسيارة، وكان ذهن «أحمد» يعمل بسرعة: هل يستطيع أن يثق بـ «جورجيت» لقد خدعتْه مرة ... فهل تخدعه مرة أخرى؟ وقال: «جورجيت» أؤكد لك أن «جان» ومن معه يعملون ضد أمن لبنان وسلامته ... وأننا ... أنا وزملائي ... نعمل من أجل مقاومة شرِّهم ... فهل يمكن أن أعتمد عليك؟

لم تردَّ «جورجيت» لدقائق، ثم قالت: من أنتم؟

قال «أحمد»: كما قلت لك، نحن مجموعة من الشبان نعمل من أجل العدالة ... وأنتِ محامية ... ومهنتك هي مهنة الدفاع عن العدالة!

جورجيت: لم تَقُل لي من أنتم، وأقصد بالسؤال أسماءكم ... والجهة التي تتبعونها. فقد خُدعت مرة، ولستُ على استعداد لأن أُخدع مرة أخرى!

أحمد: آسف. إن كل المعلومات الخاصة بنا لا يُمكن أن يعرفها أحد. ولكن ثقي بكل كلمة قلتها لك.

جورجيت: وما هو المطلوب مني؟

أحمد: سأقول لك عندما نصل إلى هناك، وندرس المكان.

ومضى الوقت. ووصلوا إلى مشارف بيروت. وأخذ «أحمد» و«عثمان» يتأمَّلان المشهد مبهورين بجمال الأضواء التي بدت من بعيدٍ كأنَّها قلائد من الماس على صدر المدينة الفاتنة.

ومضت السيارة تشق طريقها إلى حي «رأس بيروت» الفاخر حيث يوجد شارع الأمير عمر، ثم طلب «أحمد» من «جورجيت» أن تركن السيارة بعيدًا عن الشارع ... ونزلوا، وقال «أحمد» لـ «جورجيت»: قد يكون المكان مُراقَبًا ... سيري على مبعدة منا ... وسنسير خلفك بعد أن نسأل عن مكان العيادة.

وسأل «عثمان» أحد البوابين الذي أشار له على مكان العيادة وعندما اقتربوا منها وجدوا السيارة «اللنكولن» تقف أمامها.

فقال «أحمد»: إنهم ما زالوا هنا ... ستصعَدين يا «جورجيت» ... قولي لهم إنك قادمة من طرف «جان» ... وأن الخط التليفوني معطَّل ... وأن كل شيء يسير على ما يرام ... سنصعد خلفكِ، وسنقف خارج العيادة، وستخرجين بعد أن تبلغيهم الرسالة وتقولي لنا ماذا يحدث في الداخل ... عدد الرجال الموجودين ... أين يوجد «خالد» ... هل تمَّت العملية أم لا. وحاولي أن تتركي الباب مفتوحًا ... هل فهمتِ؟

جورجيت: نعم!

وسبقتْهما «جورجيت» ... وبعد لحظات تبعاها ... وقد وضع «أحمد» يده في جيبه مُمسكًا المسدس ... وبينما صعدت «جورجيت» بالمصعد، استخدما هما السلالم حتى لا يراهم أحد معها، فالمفروض أنها جاءت وحدها.

كانت العيادة في الدور الخامس، وعندما وصلا إلى قمة السلم توقفا قليلًا عندما سمعا الباب يُفتح ثم يغلق، وتقدما بهدوء ووقفا أمام الباب ... وقال «عثمان»: لقد أغلقوا الباب!

أحمد: نرجو أن تتركه «جورجيت» عندما تخرج مفتوحًا.

واقترب «أحمد» من الباب ووضع أذنه على ثقب المفتاح محاولًا التنصت، وسمع حوارًا غاضبًا، ثم صفعة قوية، وصيحة ألم ... ثم أقدام تجري في اتجاه الباب، وفُتح الباب فانزوى «أحمد» سريعًا جانبًا ... وظهرت «جورجيت» على عتبة الباب، ثم ظهرت ذراع رجل تُحاول اجتذابها إلى الداخل.

وكان هذا يكفي ... انقض «عثمان» على الذراع ولواها بعنف ... واندفع «أحمد» شاهرًا مسدَّسه ... واستطاع أن يرى في لمحةٍ رجلًا آخر يُشهر مسدسًا ... ورجلًا في ثياب بيضاء لم يشكَّ أنه الدكتور «مصابني» يقف في ركن الصالة مُنكمِشًا وقد بدا عليه الذعر الشديد ...

وأطلق الرجل رصاصة على المصباح فساد الظلام. وانبطح «أحمد» على الأرض ... فقد انطلق سيل من الرصاص من مسدس الرجل، وأحس «أحمد» بأقدام تَجري في اتجاه الباب ... وهَبَّ واقفًا ... كان ما يهمه في هذه اللحظة هو «خالد» والرسالة السرية التي ابتلعها، وكان يعرف أن صوت الرصاص سوف يَلفت انتباه سكان العمارة وأن أشياء كثيرة قد تَحدُث.

اندفع إلى الغرف يُنادي: «خالد» ... «خالد» ...

وسمع صوت أنين يصدر من جانب أحد الغرف، فأضاء نورها، وعلى فراش في جانب الغرفة كان «خالد» ينام، وقد بدا عليه الإعياء الشديد ...

أسرع «أحمد» إليه، وحمله على كتفه، وجرى به إلى الصالة ثم إلى السلالم وهو ينادي: «عثمان» ... اتبعني!

وجرى إلى المصعد، ولحسنِ الحظ وجده ما زال في مكانه ففتح الباب، وتبعه «عثمان» وهو يسحب «جورجيت» في يده ... ونزل المصعد سريعًا ... بينما كانت ضجة كبيرة تَرتفعُ من مختلف شقق العمارة.

وصلوا إلى الشارع. كانت السيارة «اللنكولن» قد غادرَت مكانها وجرى «أحمد» بسرعة هائلة رغم حمله ووصل إلى سيارة «جورجيت» التي كانت لا تزال في مكانها. وكان المارة المندهشون قد بدءوا يتجمَّعون وصاح «أحمد»: بسرعة!

وركبت «جورجيت» و«عثمان»، وأدارت الفتاة محرك السيارة، واندفعت كالعاصفة قبل أن يصل رجل الشرطة الذي كان يُطلق صفارته في دفعات متلاحقات.

اندفعت «جورجيت» بالسيارة في أول منعطف قابلها، ثم انعطفت مرة أخرى وأطلقت للسيارة العنان.

كان «خالد» يَجلس بجوار «أحمد» مستندًا عليه ... وكان صوت تنفسه ثقيلًا، فقال «أحمد»: أظن أنه واقع تحت تأثير مخدِّر.

ثم وجَّه حديثه إلى «جورجيت» متسائلًا: ماذا حدث عندما دخلتِ العيادة ... لقد سمعتك تصرخين!

وضعت «جورجيت» يدها على خدها وقالت: لقد نفَّذت تعليماتك ... فتح لي الباب أحد الرجلين ... ووجدت الدكتور يقف مصفرَّ الوجه ... وقد رفع الرجل الآخر مسدسًا في وجهه ... وقلت لمن فتح الباب إنني قادمة من عند «جان» وأن كل شيء على ما يرام ... فإذا به يصيح في وجهي: «أنتِ كاذبة، وأن التعليمات ألا يحضر أحد لعيادة الدكتور لأي سبب.» ثم صفعني على وجهي وطلب مني أن أقول الحقيقة. فأسرعت أجري إلى الباب وفتحتُه حسب تعليماتك ... ثم سارت الحوادث كما تعرف.

قال «أحمد»: آسف جدًّا ... لقد عرَّضتك للضرب، ولم يَخطر ببالي أنهم رتبوا أمورهم بهذه الدقة ... آسف.

جورجيت: لقد شاركتُ في اختطافك ... وكان واجبًا عليَّ أن أشارك في إنقاذك وقد فعلت.

قال «أحمد»: إنني أريدك أن تُغادري بيروت فورًا ... إنكِ معرَّضة لخطر شديد ... لخطر القتل!

جورجيت: إنني أريد الاشتراك معكم في هذه المغامرة.

أحمد: آسف ... ولكن، من يدري، قد نستعين بك مرة أخرى. المهم أن تعودي فورًا إلى دمشق وأعطينا عنوانك فقد نتَّصل بكِ مرة أخرى.

ووجهها «أحمد» إلى حيث ينبغي أن تذهب ... وقربَ منزله نزل وحمل «خالد» يُساعده «عثمان» ثم وقف بجوار السيارة وقال: «جورجيت» ... شكرًا ووداعًا ...

قالت «جورجيت» وهي تنقل الفتيس لتترحك: بل قل إلى اللقاء!

وتحرَّكت السيارة مبتعدة ... وتحرك «أحمد» و«عثمان» وصعدا إلى العمارة وهما يحملان «خالد». كانت الساعة قرب منتصف الليل، فلم يلتقيا بأحد على السلالم ... وفتح «عثمان» الباب ودخل الثلاثة ... وكانت في انتظارهم مفاجأة رهيبة: ... لم تكن الفتيات الثلاث موجودات.

وضع «أحمد» و«عثمان» زميلهما «خالد» في الفراش ... وأخذا ينظران إلى الشقة ... وبخبرتهما أدركا أن الشقة قد تعرَّضت لتفتيش دقيق رغم أن كل شيء كان في مكانه.

وقف «أحمد» وسط الصالة يُفكِّر ... ثم ذهب إلى «خالد» الذي كان وجهه الشاحب يدلُّ على العذاب الشديد الذي تعرض له ... قال «أحمد»: سنعمل الآن على إفاقته، وإن كنت

أعتقد أننا لن نستطيع أن نفعل شيئًا إلا إذا عادت «زبيدة»؛ فهي متخصِّصة في الإسعافات الطبية.

وفي تلك اللحظة دق جرس التليفون، وأسرع «أحمد» إليه، واستمع قليلًا ثم قال: لقد خُطفت الفتيات الثلاث ولا ندري ما هو مصيرهن ... ولعلَّهن قد قُتلن ... «خالد» قد يموت ... وحصل الأعداء على الرسالة «٩٩» ... ولم يبقَ سوى أنا و«عثمان» ... وقد قرَّرنا مغادرة بيروت فورًا ... ولن نشترك بعد الآن في أية مغامرات، فحياتُنا أهم من أيَّة مبالغ تدفعها لنا ... وداعًا ... ولا تدعنا نسمع صوتك بعد الآن.

ثم وضع السماعة في عنفٍ منهيًا المكالمة ... ونظر إليه «عثمان» في دهشة شديدة وقال: من هذا الذي كنت تتحدث معه؟

وقال «أحمد» بوجهٍ جامد: إنه رقم «صفر».

ونظر «عثمان» إلى «أحمد» وأحس برعدة شديدة ... فلا بُدَّ أنه قد جنَّ.

الحظ قد يبتسم مرة ثانية

أمسك «عثمان» بذراع «أحمد» يهزُّها في عنف ويصيح: «أحمد» ... ماذا حدث؟ هل جننت ... كيف تُحدِّث رقم «صفر» بهذه اللهجة؟! وكيف تُدلي إليه بمعلومات كاذبة؟! انطق!

ولدهشة «عثمان» الشديدة ابتسم «أحمد» وقال: إنني أسمع صوت المصعد. افتح الباب فقد عادت الفتيات.

تحرَّك «عثمان» كأنه واقع تحت تأثير سحر وفتح الباب ... وظهرت الفتيات الثلاث على الباب، ودخلن، وقال «أحمد»: لعلَّ كل واحدة منكنَّ استمتعت بالفيلمَين اللذين شاهدتهما.

وقبل أن ترد أي واحدة قال «عثمان»: لا تَقُلن شيئًا له ... لقد جُنَّ.

ووقفت الفتيات حائرات ... ووقف «عثمان» في مواجهة «أحمد» ... وقد التمعَت في عينيه نظرة أسًى وألم هائلة وقال بصوت مختنِق: إنك لا بدَّ أن تموت ... هذه هي نهاية من يخون قضيتنا.

نظر إليه «أحمد» بهدوء شديد وقال: إنك شابٌّ مُخلص يا «عثمان» ولكني لن أموت الآن ... ما زال في العمر بقية ... لقد تحدثت مع رقم «صفر» بهذا الأسلوب، وأمليتُه معلومات كاذبة لسبب بسيط ... إن تليفونَنا مراقب ... بل إني أعتقد أن تليفون رقم «صفر» مراقَب أيضًا.

وفتح «عثمان» فمه في دهشة شديدة وقالت «إلهام» وهي تَندفع إلى «أحمد»: ماذا حدث يا «أحمد»؟ إنني أسمع أغرب حديث سمعتُه في حياتي.

قال «أحمد» وهو يُمسك يدها التي امتدت إليه: إن ما مر بنا حتى الآن يؤكد هذه الحقيقة: إننا مراقبون ... ولحسنِ حظِّنا فقط أننا لم نُقْتَل حتى الآن ... ولكن ذلك قد يحدث في أي لحظة!

عثمان: إلى أين نذهب؟

أحمد: أرجو أن تُدبر لنا «إلهام» مكانًا ... وسنتمكن من تضليل من يتعقبنا ... وأظن أنهم سيعيدون تقدير موقفهم بعد أن حصلوا على الرسالة، وسمعوا حديثي إلى رقم «صفر».

ريما: هل عثروا عليها؟

أحمد: عثر عليها «خالد» ولكنَّهم أخرجوها من بطنه.

زبيدة: من بطنه؟

أحمد: نعم ... لقد ابتلعها، ولكنهم ذهبوا به إلى عيادة طبيب وجعلوه يتقيؤها!

زبيدة: وأين «خالد»؟

أحمد: إنه نائم في غرفته.

وأسرعت «زبيدة» إليه، وقال «أحمد»: هات دليل التليفونات يا «عثمان» وابحث عن رقم شركات السيارات ... واطلب إليهم أن يُرسلوا سيارة في الصباح الباكر لتأخذَنا إلى دمشق.

وأسرع «عثمان» لإحضار الدليل، وهو يمسك بكرته الجهنمية، فعندما دخل المنزل، واتَّضح له أنه قد فُتش، كان أول ما فعله هو البحث عن الكرة. وكانت فرحتُه لا تُقدَّر عندما وجدها مكانها.

جلس «أحمد» و«إلهام» في شرفة المسكن يطلان على بيروت التي أخلدت إلى النوم ... وتمنَّى «أحمد» في هذه اللحظة أن يجدا نفسيهما بعيدًا عن كل هذه المشاكل والمؤامرات ... والألغاز ... وطلقات الرصاص ... في جزيرة استوائية صغيرة ... يصطادان السمك ... ويسمعان الموسيقى، وينامان تحت النجوم.

ولكن كان الوقت أثمن من أن يضيع في الأحلام العاطفية ... وقالت «إلهام»: ما هي التطورات المهمة اليوم؟

رد «أحمد»: ما يكفي لشهور من المغامرات.

وكان «عثمان» قد دخل الشرفة فقال: وما يَكفي لشهور من العواطف ...

إلهام: عواطف؟

عثمان: فتاة معطَّرة اصطادت الشيطان اللامع «أحمد» وأوقعتْه في أيدي العدو المجهول.

أحمد: أليس هذا أفضل من أن أقع في مشاجرة بسيطة؟

هزت «إلهام» رأسها قائلة: أحب أن أسمع التفاصيل ... تفاصيل العواطف طبعًا ...

أحمد: للأسف لا وقتَ للعواطف ... إن علينا أن نُعيد تقدير موقفنا بسرعة. تمامًا كما يفعل العدو الآن ... لقد قصدت أن أُثير الاضطراب في خططهم بالمعلومات التي قلتها في التليفون ... ورغم هذا فيجب أن نكون على حذر؛ فهم قد يعرفون أننا نُضلِّلهم.

عثمان: أعتقد أنهم لن يهتموا بنا بعد الآن. فنحن لم نَعُد نملك شيئًا يُريدونه.

أحمد: هذا صحيح ... ولكنَّنا رأينا عددًا منهم. وقد نكون مصدر خطورة عليهم لهذا السبب.

عثمان: إنهم يعملون تحت الأرض. ولن يُهمَّهم أن نعرفهم أو لا نعرفهم. لقد خطفوا «معروف مبارك» ... وحصلوا على الرسالة التي تركها. فهم قد حصلوا على كل شيء ولم نفعل نحن شيئًا إلا أننا ضربناهم بضع لكمات.

أحمد: كنتُ على استعداد لأن أدفع عمري لأعرف ما في الرسالة، ماذا كان فيها ... ماذا كتب «معروف مبارك» قبل خطفه؟!

عثمان: فعلًا كانت مسألة هامة.

إلهام: ولكن لماذا كتب «معروف مبارك» رسالة؟

ريما: ربما اكتشف بعد وصوله إلى بيروت أشياء معيَّنة كان يريدها أن تصل إلى رقم «صفر».

أحمد: أعتقد أن الرسالة أهم من ذلك بكثير. لا بد أنها تتعلَّق باختراعه الخطير!

إلهام: وما هي خطوتنا القادمة! هل صحيح أننا سنركب السيارة إلى دمشق وينتهي الأمر!

أحمد: لا طبعًا ... إننا سنُخطَف ... ولكن علينا قبل ذلك أن نجد وسيلة للاتصال برقم «صفر».

ونظر الشياطين الثلاثة إليه في دهشة وقالت «ريما»: نُخطف، كيف؟

أحمد: إن تليفوننا مراقب. وعندما اتصل «عثمان» بشركة السيارات، سمع عدوُّنا المجهول المكالمة ... ولو كنت مكانه لانتهزتُ الفرصة ... وأعتقد أنه سيَنتهزها؛ فهو سيتَّصل بشركة السيارات ويلغي الطلب ... ثم يُرسل لنا سيارة من عنده بها سائق من العصابة طبعًا يقودنا إلى حيث يُريدون.

إلهام: خطة شيطانية ... ولكن هل تُريدنا أن نُخْطَف؟

أحمد: هذا هو الحل الوحيد لإعادة العلاقات بيننا وبين العدو المجهول.

وساد الصمت مرة أخرى ... وظهرت «زبيدة» ... عند باب الشرفة وقد بدت على وجهها ابتسامة مطمئنة وقالت: لقد استيقظ «خالد» ويُريد أن يراكم.

وأسرع الجميع إلى غرفة «خالد» ... ووجدوه جالسًا في الفراش ... وقد بدت عليه علامات الإرهاق الشديد ولكنه كان يبتسم ...

قال «أحمد»: ما زلت حيًّا إذن!

خالد: لسوء الحظ ... فقد خدَّروني مرتين!

عثمان: مرتين!

خالد: سأروي لكم ما حدث. فعندما دخلت السينما لاحظتُ أنني مُراقَب.

أحمد: لقد كنا جميعًا مراقبين!

خالد: جلست في المقعد وانتظرت حتى أطفأت السينما أنوارها ... وأخذت أفتش فيه بطريقة لا يراها أحد ... ووجدت شقًّا رفيعًا في حشية الكرسي تحتي ... ومددت أصابعي فعثرت على أنبوبة رفيعة من المطاط في حجم غطاء قلم الحبر. وأدركتُ أنني عثرت على الرسالة «٩٩». وقررتُ أن أُضلل من يتبعوني فقمت في الظلام متظاهرًا بأنني ذاهب إلى دورة المياه ... وقام شخص كان يجلس بجانبي وسار خلفي ... وكان من السهل طبعًا التخلُّص منه في دورة المياه. ولكنَّني كنت واهمًا ... فقد فوجئت بشخص يمد ساقه في الظلام ... وقبل أن أتمكَّن من تجاوزها تعثرت فيها وسقطت. وانحنى الشخص الذي كان خلفي فوقي ... وأحسست بشكَّة قوية في فخذي، وغبت عن الوعي ... كانت حقنة مخدِّر.

وسكت «خالد» وهو يتنفس بعمق، ثم مضى يقول: وعندما استيقظت وجدت نفسي في سيارة ... ولا أعرف كيف أخرجوني من السينما ... ربما زعموا للناس أنهم أصدقائي ... وقالوا أنَّني أُصبت بالإغماء عندما سقطت.

وابتسم «خالد» فقالت «ريما»: هل تَضحك لأنهم خدعوك؟!

قال «خالد»: نعم ... ولأسباب أخرى ... ووجدت نفسي في كوخ خشبي ... وجاء «عثمان» بعدي بثوانٍ قليلة ... وقاموا باستجوابنا عن الرسالة ... وأنكرتُ كما أنكر «عثمان». وقالوا إنهم سيُفتِّشوننا ... وأسرعت بإخراج أنبوبة المطاط وابتلعتُها.

إلهام: معنى هذا أنك لم تقرأها؟

خالد: لم يكن عندي وقت لذلك.

إلهام: وهكذا أخذوك للطبيب، وغسلوا معدتَك، وحصلوا على الرسالة؟

خالد: تقصدين أنبوبة المطاط!

أحمد: أنبوبة المطاط؟

خالد: نعم ... أنبوبة المطاط وبها بقية تذكرة السينما.

كان بقية الشياطين يراقبون الحوار وقد أمسكوا أنفاسهم وقال «أحمد» بانبهار: تقصد ...؟

خالد: عندما أفقت في السيارة. كنتُ ملقًى أسفل المقعد الخلفي، ورجل يَجلس على المقعد ويضع قدميه فوقي ... وأدركت ما يحدث. ورغم صعوبة الحركة وخوفي من افتضاح أمري، فقد استطعت استبدال الرسالة ... أخرجتها من الغلاف المطاط ... ووضعت مكانها بقيَّة تذكرة السينما.

أحمد: تقصد ...؟!

مدَّ «خالد» يده في جوربه، وأخرج ورقة ملفوفة بعناية على شكل أنبوبة، ثم مد يده بها إلى «أحمد» قائلًا: أقصد أن الرسالة معي.

ومد «أحمد» يده إلى الرسالة ... وتعلقت الأبصار جميعًا بها، بينما انحنَت «زبيدة» على شعر «خالد» وطبعت قبلة أودعتها إعجابها ... فقد كان بينهما إعجاب منذ أيام التدريب.

فكَّ «أحمد» الرسالة بسرعة ... ولكن قبل أن يقرأها سأل «خالد»: ألم يفتحوا الرسالة عندما حصلوا عليها في عيادة الدكتور مصابني؟

خالد: لا ... لقد قال أحدهما ... إن تعليمات الزعيم تقضي بعدم فتح الرسالة وتسليمها إليه مغلَّفة.

ابتسم «أحمد» قائلًا: يا لك من شيطان ... ويا لهذا الزعيم من رجل طيب!

إلهام: لقد اعتمد على إيهامهم بأنه ابتلَع الرسالة فلم يُفكِّروا في تفتيشه!

قال «خالد»: لقد كان طعمُها سيئًا للغاية ... خاصةً بدون ماء!

كان «أحمد» يفتح الرسالة بعناية ... فقد كانت مكتوبة على ورق رفيع للغاية وفردها بين يديه، وأخذ يقرأ:

أكتب هذه الرسالة بسرعة وأنا في سيارة ... ومعي الحقيبة التي بها المعادلات الخاصة باختراع الوقود ... و...

وقبل أن يكمل «أحمد» القراءة دقَّ جرس الباب ... وبسرعة أغلق «أحمد» الرسالة ثم وضعها بعناية في جيبه الداخلي ... واطمأن إلى وجود المسدس معه ... ثم قال: سأذهب أنا و«عثمان» لنرى من الطارق ...

وغادر هو و«عثمان» الغرفة وترك بابها مواربًا ... وكان الجرس يدقُّ مرة أخرى فقال «أحمد» وهما يعبران الصالة: سأقف خلف الباب، وافتحه أنت.

وقف «أحمد» خلف الباب وفي يده المسدس، وفتح «عثمان» الباب فتحة ضيقة وسمع من يقول: «تبولة بدون بصل.»

ودخل رجل الأمن «سميح» الذي التقيا به في فندق نورماندي وتلفَّت حوله في حذر ثم قال: عندي رسالة من الرجل الكبير.

أدرك «أحمد» أنه يقصد بالرجل الكبير رقم «صفر» فقال: «مرحبًا بك ... تفضل ...» وأشار له على مقعد، فاتجه إليه «سميح» وجلس ومدَّ ساقه في استرخاء، ثم قال: أين بقية الزملاء؟

قال «أحمد»: إنهم في غرفهم.

سميح: إن الرجل الكبير مندهش جدًّا لمحادثتك التليفونية معه، وقد أرسلني للتفاهم!

أحمد: لم يَعُد هناك تفاهم يا سيدي، لقد قررنا جميعًا الاستقالة من العمل، وسوف يعود كلٌّ منَّا إلى بلده.

سميح: عندي تفويض من الرجل الكبير، إنَّكم إذا كنت مصرِّين على ترك العمل فعليكم تسليم الرسالة السرية لي!

أحمد: أيُّ رسالة سرية؟

سميح: الرسالة ... سينما «٩٩»!

أحمد: ولكن العصابة حصلت عليها، فقد اختطفوا «خالد» واضطرَّ إلى ابتلاع الرسالة وقد أجروا له عملية غسيل معدة، وحصلوا على الرسالة!

ابتسم «سميح» قائلًا: أحب أن أطمئنكم على أن العصابة لم تَحصُل على الرسالة مطلقًا، لقد كان زميلكم «خالد» عبقريًّا، فقد وضع مكان الرسالة بقية تذكرة السينما التي دخل بها، وهذا ما وجدته العصابة في الأنبوبة المطاط!

أحمد: وهل علمَ الرجل الكبير بهذا؟

سميح: طبعًا، إنه واسع الاطلاع على كل شيء، والآن أين زميلكم «خالد»؟

أحمد: إنه نائم في فراشه تحت تأثير المخدِّر.

سميح: علمنا أن المخدر الذي أعطته له العصابة قوي المفعول، ولكن أثره يزول خلال ساعة ... فلا بد أنه استيقظ الآن، هيا نراه!

وحاول «سميح» النهوض ولكن «أحمد» أخرج مسدسه من جيبه قائلًا: إنك لن تتحرَّك من مكانك يا سيدي ... ولن تُقابل «خالد» ... وبالطبع لن تحصل على الرسالة ...

شحب وجه «سميح» وقال: ما هذا! إنك ...

ولكن «أحمد» قال بحسم: «عثمان» ... فتش صديقنا رجل الأمن المزيَّف ... ودعنا نرى ما يحمله في جيبه!

وتقدم «عثمان» وكله دهشة ليُنفِّذ ما طلبه «أحمد».

هل هناك مفاجآت أُخرى؟!

تسلك أصابع «عثمان» بمهارة في جيوب «سميح» ... فأخرجت مجموعة من الأوراق وسلسلة من المفاتيح، ومسدسًا ضخمًا، وبعض أقلام حبرٍ حجمها غير عادي ... وقبضة من الحديد من النوع الذي يستخدمه الفتوات في الضرب، وخنجرًا ... وعلبة سجاير وولاعة ... وقال «عثمان»: إنه ترسانة مسلحة.

أحمد: والآن يا سيد «سميح» أين «معروف مبارك»؟

رد «سميح» في صوت كفحيح الأفعى: لا أعلم!

أحمد: كيف لا تعلم وأنت الذي اختطفتَه من فندق نورماندي. لقد شككتُ فيك من أول لحظة ... وتركتُكَ تَعتقِد أنك تخدعنا حتى جاء الوقت المناسب لأواجهك.

أخذ «سميح» ينظر إلى «أحمد» نظرات يَقطر منها الحقد، ومضى «أحمد» يقول: لقد ارتكبت يا سيدي عدة أخطاء ... آخرها أنك صدَّقت المكالمة التي تمَّت بيني وبين الرجل الكبير. إنه يعرف جيدًا أني عندما أحدثه بهذه اللهجة غير المؤدبة، وأقول له أننا سنترك العمل، يعرف أنني لا أقصد مطلقًا ما أقول ... بل إنني أُحذره من أننا مُراقَبُون ... وأنني أطلب منه أن يأخذ حذره ... ولكنَّكَ بسذاجة مدهشة صدَّقت المكالمة ... وهذا ما توقعته أنا، وتوقَّعت أيضًا أنك ستُرتِّب أمورك على هذا الأساس.

غمغم «سميح»: إنك شيطان!

وقف «أحمد» قائلًا: لقد أضعنا وقتًا طويلًا في الحديث.

وفي تلك اللحظة نظر «سميح» في ساعته ... وفي نفس اللحظة سمع صوت أقدام تتقدم من الشقة ... وقال «سميح» مبتسمًا في ضراوة: إنكم ما زلتم أطفالًا ... لقد حددتُ لزملائي ربع ساعة منذ دخولي المنزل، فإذا لم أعد ... فعليهم أن يقتحمُوه ... إنهم لا يعرفون الهزار

... فهم يستخدمون المدافع الرشاشة ... وسوف يحصدونكم واحدًا واحدًا بلا رحمة، هاتوا الرسالة السرية ... وسوف ...

وتقدم «عثمان» منه ولطمه لطمة قوية أسكتتْه وقال «أحمد»: افتح الباب بسرعة يا «عثمان» ... وأعط لهذا الوغد مسدَّسه بعد أن تفرغه من الرصاص حتى يبدو أنه مُسيطِر علينا، ثم اختف خلف باب المطبخ وراقب الموقف ... وسأقف أنا خلف باب الشقة ... وإذا تحرك هذا الوغد فسوف أسكته بطلقة واحدة.

أسرع «عثمان» ففتح باب الشقة، ثم اختفى خلف باب المطبخ بعد أن وضع المسدس الفارغ في يد «سميح»، بينما وقف «أحمد» خلف باب الشقة وقد صوب مسدَّسه إلى رأس «سميح» وبدت في عينيه نظرة كالفولاذ.

توقفت الأقدام أمام باب الشقة ... ثم تقدم شخص ونظر إلى الصالة المضاءة، ورأى «سميح» يجلس وبيده المسدس فدخل قائلًا: هل كل شيء على ما يرام يا مستر «لاسكوف»؟

سمع «أحمد» اسم «لاسكوف» ولم يتمالَك نفسه من رعدة قوية سرت في بدنه، لقد تذكر الاسم فورًا، فقد كان ضمن مجموعة أسماء قال لهم رقم «صفر» أثناء التدريب إنهم من أخطر من يعملون تحت الأرض، إنه عالم كيمياء، ترك مهنتَه وتحوَّل إلى مُجرِم يطارد العلماء ويسرق اختراعاتهم وينسبها إلى نفسه أو يبيعها لمن يدفع أكثر.

مرت هذه المعلومات بذهن «أحمد» كالبرق ... ثم شاهد فوهة مدفع رشاش تدخل من الباب. ولاحظ نظرة تحذيرٍ في عيني «لاسكوف» ... ولكن «أحمد» كان أسرع ... فقد دفع الباب بكل ما يملك من قوة. فأصاب الداخل بضربة قوية أسقطته على الأرض. وشاهد ذراع «عثمان» تقذف كرته الجهنمية في اتجاه الباب فتأكد أن شخصًا آخر كان يدخل ... وسمع صدمة الكرة في رأسه، وصوت سقوطه على الأرض.

في هذه اللحظات تصرَّف «لاسكوف» سريعًا، ففي قفزتين كان ينقضُّ على «أحمد» كالصاعقة ... وضربه بالمسدس الفارغ على ذراعه ضربة رهيبة أطارت المسدس المحشوَّ من يده، والتحما معًا في صراع مميت ... كان «لاسكوف» متين البنيان كالثور وأدرك «أحمد» أنه كي يتغلب عليه فلا بد أن يُفقدَه توازنه، وهكذا ضربه بطرف حذائه بكل قوته في ساقه، فارتفعت الساق إلى فوق، وأصبح «لاسكوف» يقف على ساق واحدة فلفه «أحمد» بين ذراعَيه بسرعة ثم وجه إليه لطمة قوية سقط على إثرها كالجثة الهامدة.

في هذه الأثناء كانت الفتيات الثلاث و«عثمان» قد انقضُّوا على الرجلين اللذين كانا يحملان المدافع الرشاشة ... وأمسكت «إلهام» بذراع الرجل الأول وثنته إلى الخلف وجثمت

فوقه، أما «زبيدة» فقد هاجمت الرجل الثاني وأوقعته على الأرض، ثم أمسكت أحد المدفعين ووجَّهته إلى الجميع قائلة في صوت ثابت: لا داعيَ للمقاومة.

كان الرجلان اللذان وقعا عند الباب هما نفس الرجلين اللذين كانا في الكوخ الخشبي عند الجبل. فقال «عثمان» موجهًا حديثه إلى أحدهما: هل تذكُر كم ضربتني؟ أظن أنه من الواجب أن أرد لك الجميل.

كانت «زبيدة» واقفة وهي توجه المدفع الرشاش إلى الرجال الثلاثة. وقد أغلق «أحمد» الباب، واستند إليه في هدوء ووجَّه حديثه إلى «لاسكوف» قائلًا: هل هناك مُفاجآت أخرى يا مستر «لاسكوف»؟

قال «لاسكوف»: من يدري ... إن الصراع معكم حافل بالمفاجآت.

أحمد: سأترككُ تفكر في مفاجأة أخرى بضع لحظات، فعندي ما أفعله.

أشار «أحمد» إلى «عثمان» ليتولى حراسة الرجال الثلاثة، ثم أشار إلى الفتيات أن يتبعنه. ودخل غرفة «خالد» فوجده يتناول طعامه بشهية، وقد استرد لونه.

وقالت «زبيدة»: إنه الآن على ما يرام.

أحمد: لقد كدنا نُحصَد بالمدافع الرشاشة!

خالد: لقد تتبعت حديثك مع «لاسكوف» وشاهدتُ كل الأحداث وأنا أقف خلف الباب وكنت مستعدًّا.

ومدَّ «أحمد» يده إلى جيبه، وأخرج الرسالة «سينما ٩٩» وأغلق الباب ثم أخذ يقرأ:

> أكتب هذه الرسالة بسرعة وأنا في سيارة. ومعي الحقيبة التي بها المعادلات الخاصة باختراع الوقود ... إن هذه المعادلات ناقصة، وقد قصدت أن تكون ناقصة حتى لو حصل عليها أي إنسان فلن يُمكنَه الاستفادة منها ... لا أدري كيف استطعت الهرب من قلعة الرعب، إنه مجرد حظ طيب ... ولكني أحس الآن أني مُطارَد ... هناك سيارة تتبعنا على طريق دمشق–بيروت ... فعندما هربتُ من «قلعة الرعب» التي توجد في مكانٍ ما بـ «لبنان» ... اتجهت إلى سوريا لأضلل المطاردين ... ثم حاولت العودة إلى لبنان.

وانتهت الصفحة الأولى فقلب «أحمد» الرسالة وعاد يقرأ:

> قررتُ أن أترك المظروف الذي به المعادلات في أقرب مكان، حتى إذا استطاع المطارَدُون الوصول إليَّ فسوف يجدون الحقيبة معي ... ولكن ستكون فارغة

... إننا نقترب الآن من الحدود ... وسأعطي المظروف لأيِّ شخصٍ وأطلب منه أن يُرسله على عنواني القديم في الجبل في «كفر زبيان» وهذه الرسالة تفويض منِّي باستلام المظروف ... إنني لا أعرف حتى الآن أين أضع هذه الرسالة ... إن ذلك يتوقف على الأماكن التي سألجأ إليها لتضليل المطارِدين.

قال «أحمد» موجهًا حديثه إلى «إلهام»: هل تعرفين كفر زبيان؟

إلهام: نعم ... إنها قرية صغيرة على مسافة نحو ساعة من بيروت.

أحمد: ستذهبين أنت و«ريما» و«زبيدة» و«خالد» إلى هناك، واسألوا عن عنوان الدكتور ... واحصلوا على المظروف بأيِّ ثمن ... وسأقوم أنا و«عثمان» بمحاولة إنقاذ الدكتور ... فلا بدَّ أنهم أخفوه في مكان ما في بيروت، انتظارًا لحصولهم على المعادلات ... وخذي معك رسالة الدكتور في توكيل منه باستلام المظروف.

وأسرعت الفتيات و«خالد» لتنفيذ ما طلبه «أحمد».

جلس «أحمد» وفي يده مسدس وبجانبه «عثمان» وأمامهما «لاسكوف» والرجلان رافعان يديهما إلى أعلى ... وقال «أحمد»: أظن أنه لا داعي للمقاومة أكثر ... وقولوا لنا أين الدكتور «معروف».

قال «لاسكوف»: أليس من الأفضل أن نتَّفق؟

أحمد: على أي شيء؟

لاسكوف: عندنا الدكتور ... وعندكم المعادلات، والدكتور بدون المعادلات لا يساوي شيئًا، فهو لا يستطيع تذكرها ... والمعادلات بدون الدكتور لا تُساوي شيئًا لأنها ناقصة ... فادفعوا لنا ثمن الدكتور وخُذوه ... أو ندفع لكم ثمن المعادلات ونأخذها.

قال «أحمد» مبتسمًا: فكرة معقولة جدًّا ... ولكنَّك نسيت شيئًا ... إنك بين أيدينا، وعن طريقك سوف نعرف مكان الدكتور.

ابتسم «لاسكوف» وقال: هل تسمح لي بتدخين سيجارة. إنك مُساوم بارع.

وأخرج «عثمان» علبة السجائر والولاعة من جيب «لاسكوف»، وناولها له، فأخذ سيجارةً، ووضعها في فمه ثم وجه حديثه إلى «أحمد» قائلًا: لعلَّك لم تسمَع عنِّي من قبل؟

أحمد: بل سمعت، فأنت «برنارد لاسكوف»، عالم الكيمياء الذي تحوَّل إلى رجل عصابات دموي بعد أن أُصيب في رأسه أثناء إحدى تجاربه.

لاسكوف: ورغم ذلك فلستُ زعيم هذه المجموعة. فهناك من هو أخطر مني، وأشد بطشًا ... لو اعترفتُ أو اعترف أيُّ واحد من مجموعتنا فسوف يُقتل.

أحمد: إنني أضمن لكم حماية ... رجال الأمن في لبنان.

لاسكوف: إنك واهم يا صغيري!

ثم ضغط «لاسكوف» الولاعة ... وحدث ما لم يكن في الحسبان ... فقد انبعث منها ضوء شديد مُبهِر كأنه ضوء الشمس مُضاعَفًا مئات المرات ... وأحس «أحمد» كأن سيفًا اخترق عينيه ... ودارت الدنيا به ... وأحس بيد قوية تجذب المسدس من يده ... وصوت آمر يقول: لا تتحرَّك!

ومثلما حدث لـ «أحمد» حدث لـ «عثمان» وعندما فتح الصديقان عيونهما بعد لحظات كان «لاسكوف» يقف في أحد أركان الصالة وهو يوجه مسدَّسه إليهما. ثم قال باستخفاف: لقد قلت لك إن المفاجآت لم تنتهِ بعد ...

كان الرجلان الآخران قد أصيبا كما أصيب «أحمد» و«عثمان» فأخذا يَفركان عيونهما من شدة الألم ... وبينما كان «أحمد» يضع يدَيه فوق عينيه ويفكر في الخطوة التالية قال «لاسكوف»: لعلكم أنتم الأربعة نسيتم أنني عالم كيميائي وأن لي مخترعاتي الخاصة ... ما رأيكم؟ أليست لعبة مُسلية؟

لم يردَّ أحد فمضى «لاسكوف» يقول: وبالمناسبة فإنني أضع عدسات على عيني تمنع تأثير الضوء!

وسكت «لاسكوف» لحظات ثم قال: والآن يا صغيري العزيز إنك تعرف أين المعادلات ... وهو سرٌّ يساوي ملايين، بل بلايين الجنيهات، وأظنُّك توافقني على أنه لم يَعُد عندك فرصة للمساومة ... فأين الخطاب السري؟!

أحمد: إنه ليس معي.

قال «لاسكوف» بحدة: أين هو؟

أحمد: في مكان ما ... ولكنَّه على كل حال ليس هنا!

قال «لاسكوف» بهدوء: إنني أصدقك ... فقد خرج منذ ربع ساعة مع الفتيات الثلاث، وصديقكم الذي خدعنا ... ولكن لن نبقى هنا لتبادل الأحاديث ... هيا بنا.

وأشار إلى الرجلين وإلى «عثمان» و«أحمد» ... فوقفوا جميعًا، ثم أشار لهم بالخروج من الباب فخرجوا ... ووصلوا إلى الشارع ... كانت سيارة العصابة الضخمة في الانتظار ... فقال «لاسكوف»: سنذهب لمقابلة الزعيم ... وأعتقد أنكما هناك سوف تعترفان ... فعندنا كل الوسائل التي تُجبركما على الاعتراف.

ثم أمر أحد أعوانه بتقييد ذراعَي كلٍّ من «عثمان» و«أحمد» لمنعهما من أيِّ محاولة للهرب.

كانت الشوارع خالية في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... فمضت السيارة مسرعة، وسرعان ما غادرت بيروت إلى طريق الجبل في اتجاه «البقاع» ... وبعد مسيرة نحو ساعة، أخرج أحد المعاونين شريطًا لاصقًا وضعه على عيون «أحمد» و«عثمان» وعرف الصديقان أنه لمنعهما من معرفة الطريق الذي سيسلكانه إلى مقر الزعيم المجهول. ولم يكن «أحمد» و«عثمان» يفكران في تلك اللحظة إلا في معرفة مقر الزعيم ... فقد كان هذا هو الحل الوحيد للوصول إلى «معروف مبارك» وربما بقية العلماء الذين اختُطفوا في السنوات الأخيرة كما قال رقم «صفر».

ومضت السيارة تشقُّ طريقها في أرضٍ غير ممهَّدة، وأحس «عثمان» و«أحمد» بالمطبات والحفر، ثم عاد الطريق يُصبح أملسَ لمسافة قصيرة لا تزيد على كيلومتر واحد ثم وقفت تمامًا ودارت حول نفسها، ثم أحسَّ الصديقان كأنها تنزل في مصعد إلى عمقٍ سحيق ثم استقرَّت مرة أخرى، وسمعا صوت أجراس تدوي من بعيد، وسمعا أصواتَ الأبواب وهي تُفتح، ثم امتدَّت الأيدي إليهما فأخرجتهما من مكانهما، وسمعا صوتًا يقول: ألم يكن هناك حلٌّ آخر سوى إحضارهما هنا؟

وسمعا «لاسكوف» يرد: إن الزعيم مهتمٌّ بالقضاء على هذه المجموعة من الشبان اهتمامًا بالغًا. فلم تَستطِع أيٌّ أجهزة أمن أن تضايقه مثلما ضايقه هؤلاء.

وسار الصديقان وما زال الشريط اللاصق فوق عيونهما — ولكن بعد فكِّ رباط أيديهما — فوق أرض كان لها رنين المعدن، ثم على أرضٍ مُغطَّاة بالمطاط السميك ... ثم فُتح بابٌ ودُفعا إلى داخل غرفة أغلق بابها ... وعلى الفور سمعا صوتًا فيه رنين سخرية واضح يقول لهما: مرحبًا بكما.

الموت ليس أسوأ الحلول

مدَّ «أحمد» يده ونزع الشريط اللاصق، وفوجئ بالضوء الشديد يبهر عينيه وبصوت يقول: لا تقدم على عمل بعد الآن قبل أن تُؤْمر به ... إن أيَّ تصرُّف قد يُعرِّضك لآلام لا داعيَ لها!

ونزع «عثمان» هو الآخر الشريط، ونظرا حولهما، كانت غرفة فارغة تمامًا مبنية بالأسمنت المسلَّح، وكانت قطرات المياه التي تجمعت على الجدران وفتحات التهوية العالية التي بها ... تؤكد أنها مبنية تحت الأرض وكان هناك مقاعد من الخشب المصقول ... وطاولة صغيرة عليها بعض الأوراق والأقلام.

لم يكن هناك أحد في الغرفة. فعرفا أن الزعيم المجهول يتحدَّث إليهما من ميكروفون وتأكدا من وجود كاميرا تليفزيون تنقل تحركاتهما إليه ما دام قد شاهد «أحمد» وهو ينزع الشريط اللاصق من عينيه.

عاد الصوت يقول: إنكما الآن في مكان لا يعلمه أحد ... ولا أظن أن أحدًا سوف يسعى إلى إنقاذكما ... وبالطبع فإنكما لن تَستطيعا الفرار مطلقًا ... إنني أريدكما أن تجيبا على عدة أسئلة ... وأرجو أن تَنجحا في الامتحان.

وضحك الزعيم المجهول ساخرًا ... وغلى الدم في عروق «أحمد» و«عثمان»، ولكنَّ الدرس الأول الذي تعلماه في التدريب هو ضبط النفس ... وعدم الاستِسلام للانفعالات، فتمالَكا أعصابهما ... واتجها إلى الطاولة وجلَسا حولها.

وقال الزعيم المجهول: حسنًا ... إنَّكما ولدان عاقلان حقًّا ... اكتبا الأسئلة.

وسكَت لحظة، ثم قال: اسم كلٍّ منكُما بالكامل وسنُّه ...

لم يتمالك «أحمد» نفسه فقال لـ «عثمان»: يبدو أننا سنُمتحَن في الثانوية العامة!

وابتسم «عثمان» وبرقت أسنانه البيضاء في وجهه الأسمر. وارتفع الصوت مرة أخرى بنغمة متضايقة: ربما كانت هذه آخر نكتة وآخر ابتسامة! اكتبا ...

– ما هي الجهة التي تعملون لها؟

– ما اسم رئيس هذه الجهة؟

– أين مقر هذه الجهة؟

– مَنْ غيركما يعمل لهذه الجهة؟

– كيف علمتما بقصة «معروف مبارك»؟ وما مرَّ بكما من أحداث حتى الآن؟

وسكت لحظات ثم قال: هذا هو الامتحان ... وهناك امتحان شفوي، وأظن أنَّني يجب أن أنبهكما أن عندنا من الوسائل ما يُمكننا من الحصول على اعترافاتكما ... ولكنَّني ... ولكنني أحب ألا ألجأ إلى وسائل العنف إلا بعد أن أستنفد الوسائل الأخرى ... أمامكما حتى الساعة السادسة صباحًا للإجابة.

وسكت الصوت. ومال «أحمد» على «عثمان» وقال له هامسًا: ألم تُلاحظ شيئًا؟

عثمان: نعم ... إنه لم يَسألنا عن الفتيات ولا عن «خالد» ... ولا عن الرسالة!

أحمد: إن هذا ما يُقلقني أكثر من أيِّ شيء آخر ... فمعنى أنه لم يسألنا عنهم أنه قد وصل إليهم واختطفهم.

وأخذا ينظران إلى الأسئلة ... من المؤكد أنهما لن يُجيبا عليها. ونظر «أحمد» إلى ساعته وكانت تُشير إلى الثالثة، وأخذ يفكر في الفتيات ... ماذا حدث لهن و«خالد» ... هل تم الحصول على المظروف الذي به المعادلات؟ وأين ذهب به؟

وأخرجه من خواطره صوت الرجل المجهول يقول: يبدو أنني سأُضطرُّ إلى استخدام العنف معكما ولكنِّي، وفاءً بوعدي ... سوف أترككما المدة التي وعدتُ بها.

قال «أحمد» لـ «عثمان»: هل تعرف أفضل ما نفعله؟

عثمان: ماذا؟ محاولة الفرار؟

ابتسم «أحمد» رغم الموقف الرهيب الذي هما فيه وقال: الفرار! كيف؟

صمت «عثمان» فقال «أحمد»: أفضل ما نفعله أن نَنام. لنستعد للصراع المقبل مع وسائل التعذيب.

وأبعد «أحمد» كرسيه، ثم مد قدميه على كرسي آخر، وشبك ذراعيه خلف رأسه وأغمض عينيه بعد أن جعل اتجاه النور خلفه وسرعان ما قلده «عثمان» ... ولم تمض لحظات حتى راحا في نوم عميق.

بعد ساعة تقريبًا استيقظ «أحمد» ولكنه ظل مغمض العينين ... كان يُفكِّر في المأزق الذي هما فيه ... غرفة مصفَّحة تحت الأرض مراقَبة بواسطة كاميرا تليفزيون ...

أصدقاؤهما بعيدون عنهما ... رقم «صفر» لا يعلم شيئًا ... وفتح عينيه فتحة رفيعة ... تكفي فقط للنظر من خلال أجفانه المطبقة، وأخذ يتأمَّل الغرفة ... المساحة حوالي ثلاثة أمتار في أربعة ... فتحات التهوية عالية ... ولكن يمكن الوصول إليها إذا وقف فوق كرسي ... الباب يفتح ويغلق بطريقة أوتوماتيكية من الخارج، فليس هناك أثر لقفل ... ولكن أين عدسة الكاميرا؟ ... إنها ليست في الجدران الثلاثة التي أمامه ... إنها إما في السقف أو في الجدار الذي خلفه ... وتظاهر بأنه يسند رأسه على ظهر المقعد ونظر إلى السقف كان الضوء الكهربائي يأتي من مُستطيل زجاجي وفي الأغلب فإن عدسة الكاميرا في نفس المكان.

كانت الساعة التي نامها قد بعثت في جسده بعض النشاط. وساعدت ذهنه وأعصابه على الاسترخاء ... فأصبح مُستعدًّا مرةً أخرى للتفكير العميق ... وأخذ يتذكَّر التدريبات التي مرُّوا بها. خاصةً ما يتعلَّق بالغرف المغلقة ... ولم يكد يتذكر التدريبات حتى تذكر «إلهام» ... وأحسَّ بقلبه يقفز بين ضلوعه ... أين هي الآن؟ ما هو مصيرها؟ لماذا لم يسألونَهما عن الفتيات؟ ... و«خالد»؟ ... من المؤكد أن الأربعة قد وقعوا في يد هذه الجماعة الرهيبة ... ولعلهم قد أسلموا الظرف وبه المعادلات. أو هم الآن يتعرَّضون لتعذيب مُخيف ... وأحس بالدماء تغلي في عروقه ... ولكنه أخذ نفسًا عميقًا وعاود السيطرة على أعصابه ... ففي ذهنه خطة معينة ... ويريد أن يخطر «عثمان» بها دون أن يراها أحد ... وكانت هذه مسألة هيِّنة بالنسبة له ... فقد حسب المسافة بينه وبين «عثمان» ... ثم تظاهَر بأنه يتقلب في كرسيه ... وأنه سيقع، ومد يده يَتساند على مقعد «عثمان»، وجذبَه بشدة، ووقعا معًا على الأرض ... وهمس في أُذن «عثمان» بسرعة بما يُريد ... ثم وقف وهو ساخط. وكذلك فعل «عثمان».

بعد لحظات عادا إلى التظاهر بالنوم. ولكن كلًّا منهما كان يفكر في دوره ... إن الخطة تعتمد على الحركة السريعة المفاجئة المضبوطة المسافة والتوقيت.

ومرَّ الوقت، والصمت يُخيِّم على المكان إلا من صوت ماكينات بعيدة تدور ... وتساءل «أحمد» في نفسه عن المكان الذي هما فيه ... أين يقع، لقد قطعا نحو ساعتين بالسيارة؛ أي أنهما في المتوسط على بعد ١٢٠ إلى ١٨٠ كيلومترًا عن بيروت، ولكن في أي اتجاه ... إنها مسافة تكفي للوصول إلى دمشق مثلًا ... وربما إلى الأردن ... أو إلى ... وعاود قلبه الدق السريع ...

نظر «أحمد» إلى ساعته من خلف أجفانه المطبقة ... كانت الخامسة والنصف ... وكان «عثمان» مُستسلمًا للنوم ... ولم تبقَ سوى نصف ساعة ... وبعدها إما أن يَنجحا ... وإما أن يموتا ... وإما أن يذهبا إلى غرفة التعذيب.

وكان «أحمد» واثقًا بأنه سيكون تعذيبًا رهيبًا بجميع الوسائل العلمية التي عرفها البشر، وربما بوسائل لم يسمع عنها ...

كان عقرب الدقائق يمضي سريعًا على وجه الساعة ... و«أحمد» يُمعن في التفكير ... ويُركِّز تفكيره في اللحظات القادمة ... وتعامَدَ العقربان ... الساعة السادسة. وسمع «أحمد» صوتًا لم يكن هو صوت الزعيم المجهول ... صوتًا يقول: لقد دقت الساعة السادسة ... ولم تكتبا شيئًا ... وعندي تعليمات أن أنذركما للمرة الأخيرة!

ظلَّ وجه «أحمد» جامدًا ... وكان «عثمان» قد استيقظ على الصوت وتمطَّى وقال لـ «أحمد»: صباح الخير ...

قال «أحمد»: صباح الخير.

ولو رآهما أي إنسان في هذه اللحظة لظن أنهما مستسلمان لمصيرهما ... فلم يكن يبدو على الوجهَين الشابَّين أي أثر لما هما مُقدمان عليه ... وفجأة شاهدا الباب يفتح بهدوء ... وفجأة أيضًا تحرك الشيطانان ... قذف «أحمد» بكرسي إلى السقف أصاب المستطيل الزجاجي فحطمه وساد الظلام ... وفي نفس الوقت كان «عثمان» يَدفع الطاولة بقوة الصاروخ إلى فتحة الباب ليمنعه من الانغلاق ... وفي ذات اللحظة كان «أحمد» يقفز فوق الطاولة التي سدت الباب ويُطوح بقدمه بقوة في وجه الرجل الذي أطلَّ عليهما فانطرح على ظهره ... ثم انقضَّ «أحمد» على رجل آخر ظهر خلف الأول ... ولم يكن هناك وقت للمصارعة فقد هوى «عثمان» بكرسي على رأس الرجل فسقط صريعًا ... وفي اللحظة التالية كانا يقفان في الدهليز المُضاء ...

قال «أحمد»: إنه وقتٌ مناسب قبل أن يستيقظ جميع الحراس.

عثمان: إلى أين نتجه؟

وقبل أن يأخذا قرارًا سمعا صوت أقدام تأتي من دهليز متقاطع فأسرعا يجريان إلى ركن الدهليز، والتصقا بالحائط ... وبرز من الدهليز المُجاوِر آخر ما توقعاه ... الفتيات الثلاث يسرن، وخلفهنَّ حارسان مسلحان ... وكتم «أحمد» و«عثمان» أنفاسهما حتى مرَّ الموكب وأصبح ظهر الحارسين إليهما ... وفي قفزة هائلة انقض كلٌّ منهما على حارس ... والتفتت الفتيات الثلاث على آخر ما كنَّ يتوقعن ... وانضممن إلى المعركة التي لم تستمرَّ سوى ثوانٍ قليلة، سقط على أثرها الحارسان على الأرض غائبين عن الوعي.

نظر «أحمد» إلى «إلهام» ونظرت إليه ... كانت نظرة تُعبِّر عمَّا في نفسيهما من حب عميق يتزايد في لحظات الخطر ... كانت نظرة خاطفة، وقال «أحمد»: أين «خالد»؟

إلهام: لا ندري ... إنه لم يُغادر العمارة معنا!

أحمد: شيء غريب ... المهم أنني ألاحظ أن الدهاليز فارغة من الحراس.

عثمان: يبدو أن كل شيء يتحرَّك هنا بأوامر ... فلا يتحرَّك الحراس إلا بتعليمات ...

تدخَّلت «زبيدة» في الحديثة قائلة: هيا بنا نبحث عن غرفة التحكُّم هنا ... إن كل شيء في هذا المكان يتحرَّك بالكهرباء ... وإذا استطعنا التحكُّم فيها سيطرنا على المكان.

عثمان: إنكِ متخصصة في الكهرباء يا «زبيدة» وهذه فرصتكِ.

وكانت «زبيدة» تنظر طول الوقت في التوصيلات الكهربائية محاولة الوصول إلى المصدر الرئيسي، ثم أشارت إلى آخر الدهليز الذي يقفون فيه ... وقالت: غرفة التحكُّم من هنا.

قال «أحمد»: سننقسم إلى قسمين: «عثمان» و«زبيدة» و«ريما» ... وأنا و«إلهام» ... كل فريق يتقدَّم الآخر يحميه وهكذا ... فليس من المعقول أن نتحرك معًا بهذا الشكل.

كان كلٌّ من «عثمان» و«أحمد» قد التقط مدفعًا رشاشًا ... وسارت مجموعة «عثمان» في البداية، وبعدها ببضعة أمتار سار «أحمد» و«إلهام» وعند مدخل كل دهليز كانت المجموعة المتقدمة تُعطي إشارة الأمان إلى المجموعة التالية وهكذا ... و«زبيدة» تراقب التوصيلات الكهربائية حتى وصلوا في النهاية إلى حائط من الرخام الأسود انتشرت عليه مجموعة من العقارب والساعات والمؤشرات الكهربائية ... وأشارت «زبيدة» إلى الحائط وقالت: قاعة التحكُّم الكهربائية خلف هذا الحائط.

أشار «عثمان» إلى «أحمد» و«إلهام» ... فلحقا بالمجموعة وهمس «عثمان»: خلف هذا الحائط توجد قاعة التحكُّم المركزي في شبكة الكهرباء.

قال «أحمد»: ما زلت مستريبًا في هذه الدهاليز الخالية ... وأخشى أن نكون مراقبين طوال الوقت دون أن ندري ... المهمُّ الآن سنقتحم هذه الغرفة بأي ثمن ... فعن طريقها يمكن أن نتحكم كما قالت «زبيدة» في حركة هذا المكان العجيب. وسنَقتحِم غرفة التحكم على ثلاث مجموعات ... وأنا وحدي المجموعة الأولى ... وبعدي «عثمان» و«ريما» وبعدها «إلهام» و«زبيدة» ... ومن المهم جدًّا المحافظة على سلامة «زبيدة»؛ فهي أملنا في إدارة الصراع المقبل!

كان الحائط الرخامي يقع على طرف دهليز من الصخر. وسرعان ما رفع «أحمد» مدفعه الرشاش، وانحرف داخل الدهليز شاهرًا مدفعه، ولحيرته الشديدة، كان الدهليز

كبقية الدهاليز خاليًا، وأرسل بصره إلى نهاية الدهليز، ولاحظ على الفور أنه ليس أصمَّ كبقية الدهاليز التي مرُّوا بها ... فقد كان هناك عدد من الغرف المغلقة الأبواب على الجانبين ... وجرى ينظر إلى أبواب الغرف ... كانت كلها متشابهة وعلى كل باب مجموعة من الأزرار وضوء مختلف اللون ... وظهرت المجموعة الثانية المكوَّنة من «عثمان» و«ريما» وأشار لهما «أحمد» أن يقف كلٌّ منهما أمام باب ... ثم ظهرت المجموعة الثالثة ... وأشار «أحمد» إلى «زبيدة» أن تتقدَّم وترى الأبواب ...

تقدمت «زبيدة» تنظر إلى كل باب نظرة عاجلة. ثم أشارت إلى أول باب في الدهليز إشارة يفهم منها أنه الباب المقصود ... وتقدمت «زبيدة» من الباب ... وفي تلك اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان ... فقد ظهر باب خفي عند طرف الدهليز أخذ يُغلق الدهليز ... وفي الناحية الأخرى ظهر باب آخر، وبدا واضحًا أن الدهليز هو سجنهم الجديد؛ فقد أغلق من الناحيتين.

ولم تتردد «زبيدة» ... اتجهت فورًا إلى الباب الذي أشارت إليه، ثم صاحت بـ «عثمان»: أطلق الرصاص هنا!

كان ما أشارت إليه هو مجموعة الأزرار التي على الباب، وأطلق «عثمان» دفعة من مدفعه الرشاش، وتطاير شرر مُخيف وفُتح الباب ... وأطلق «عثمان» دفعة أخرى من الرصاص داخل الباب ... فظهر رجل مذعور رافعًا يديه إلى فوق، وأسرعت «زبيدة» إلى داخل الغرفة في نفس الوقت الذي ظهرت فيه مجموعة الحراس من غرفتين متقابلتين في الدهليز يحملون المدافع الرشاشة ... وصاح «أحمد»: انبطحوا أرضًا!

وأطلق مدفعه في اتجاه الحراس ... وفرقع الرصاص في الدهليز بين الحراس والأصدقاء ... وترنَّح «عثمان» ووقع على الأرض ... ثم تبعته «ريما» ولكن «عثمان» الباسل ظلَّ يُطلق مدفعه رغم سقوطه على الأرض ...

وجه الشيطان

نظرت «زبيدة»، في لوحات الأزرار المتعددة التي أمامها ... ورأت خريطة للمبنى كله قد توزعت عليها مختلف أنواع الأزرار، وأدركت أن المبنى مكوَّن من ثلاثة طوابق ... وكان «عثمان» قد زحف إلى داخل الغرفة، ومدفعه في يده مصوبًا على الرجل المسئول عن غرفة التحكم.

قال «عثمان» لـ «زبيدة»: أغلقي جميع الغرف في القلعة حتى نقلل عدد المهاجمين بقدر الإمكان.

وتحت تهديد المدفع أشار الرجل إلى مجموعة من الأزرار أخذت «زبيدة» تُغلقها واحدًا بعد الآخر ... ودخل بقية الزملاء إلى الغرفة ... و«أحمد» يَحميهم بمدفعه الرشاش ... وكانت «إلهام» تحمل «ريما» المصابة.

قال «أحمد» وظهره إلى الداخل، ووجهه إلى الخارج ومدفعه في يده: نُريد فتح الدهليز فورًا.

وأشار الرجل إلى مجموعة أُخرى من الأزرار خاصة بالدهاليز ... وكل واحد يحمل رقمًا ... وسرعان ما استطاعت «زبيدة» العثور على الزر الخاص بالدهليز وتفتحه ... وبدأ الحراس الذين كانوا خارج غرفهم يقتربون ويُحاصرون الشياطين الخمسة مكانهم ... ولكن فجأة سمع الشياطين فرقعة مدفع رشاش تأتي من طرف الدهليز ... وشاهدوا الحراس وبعضهم يترنَّح، والبعض الآخر يجري.

ونظر «أحمد» بطرف عينه إلى نهاية الدهليز ... وكم كانت دهشته عندما وجد «خالد» يتقدم وبيده مدفع يُطلِق رصاصه كالمطر خلف الحراس الهاربين.

صاح «أحمد»: إنه «خالد»!

وذهل الشياطين الخمسة ... «خالد» ... كيف حضر إلى هذا المكان! كيف دخل! ولكن لم يكن هناك وقت للإجابات.

قالت «زبيدة»: المكان مكوَّن من ثلاثة طوابق ... ويبدو أنه مقسم على السكان كل حسب تخصُّصه.

صاح «أحمد» بالرجل الذي أسروه: أين تقع غرفة الزعيم؟

قال الرجل: الزعيم وأعوانه الكبار في الدور العلوي فوق الأرض ... الأسرى والحراس في الطابق الثاني تحت الأرض حيث نحن الآن ... الطابق الثالث تحت الأرض ... وبه المعمل والعلماء!

أحمد: العلماء؟

الرجل: نعم ... وأنا منهم ... فقد كنتُ عالمًا في الكهرباء، وقد اختُطفتُ منذ ثلاث سنوات وأنا على استعداد للتعاون معكم.

أحمد: عظيم ... هل تستطيع التحكُّم في غرفة الزعيم من هنا؟

الرجل: لا ... إنها الغرفة الوحيدة التي يُمكن التحكم فيها من داخلها.

أحمد: أغلق جميع أبواب الحراس وأعوان الزعيم ... وافتح لنا باب الطابق الثالث.

الرجل: لقد قامت هذه الأنسة بإغلاق أبواب الحراس منذ قليل.

وأخذ الرجل يُعمل يديه في الأزرار وهو يقول: ولا أدري إذا كان الأعوان الكبار قد أحسُّوا بما يحدث هنا أم لا! فإن الطوابق الثلاثة معزولة عن بعضها، ولكني أغلقت الآن أبواب كبار الأعوان.

أحمد: ستبقى هنا مع «زبيدة» وإذا احتجنا إلى شيء فسنُرسل لكما ... وسيبقى معكما «عثمان» و«ريما» فهما مُصابان.

وانحنى «أحمد» على «عثمان» ... الذي كان مصابًا في ساقه، وكذلك «ريما» وقال: أرجو أن تكون الإصابات سطحية، فابقيا هنا، وسأصعد إلى الطابق الأول لمقابلة الزعيم ... وينزل «خالد» و«إلهام» إلى الطابق الثالث تحت الأرض لتحرير العلماء.

وخرج الرجل معهم إلى الدهليز وأشار إلى الأماكن التي سيدخلونها وشرح لهم معالم الطريق.

وقال الرجل: إن باب غرفة الزعيم ضعف حجم الأبواب العادية.

صعد «أحمد» على سلمٍ حديديٍّ حلزوني إلى الطابق الثالث ولأول مرة منذ دخل المكان يشاهد ضوء الشمس يغمر الدنيا، كانت أكثر الغرف مغلقة، ومن الواضح أن أعوان الزعيم

الكبار لم يحسوا بما يدور تحتهم أو أن الأبواب أُغلقت عليهم ... وأخذ «أحمد» يجري في مختلف الاتجاهات باحثًا عن غرفة الزعيم ذات الباب الكبير ... وسرعان ما وجدها، وكان الباب مفتوحًا. فدخل مسرعًا، ولم يكد يجتاز عتبة الباب حتى انقضَّ عليه شخص من الخلف وطرحه أرضًا. ثم جثم على صدره وأخذ يحاول خنقَه. كانت أصابع الرجل فولاذية، وكأنها كلابات من الحديد أطبقت على عنق «أحمد»، ولكن ما أرعب «أحمد» أكثر كان وجه الرجل ... لم يكن وجهًا يمتُّ إلى الآدمية بصلة ... فقد كان مشوهًا قاسيًا كأنه وجه شيطان.

استخدم «أحمد» ما تعلَّمه من فنون «الكاراتيه»، فدفع بأصابعه في عينَي الرجل، واضطرَّ الرجل إلى رفع وجهه بعيدًا عن إصبعَي «أحمد» مما أدَّى إلى تراخي أصابعه قليلًا عن عنقه، وجمع «أحمد» كل قوته ووجَّه إلى عنق الرجل لكمة عنيفة، فالتوى جسده، وتراخت يداه تمامًا ... وأدار «أحمد» جسمه كالبريمة السريعة فأفلت من تحت الرجل ... وكان الآخر قد قام واقفًا، وتواجَها بدون سلاح ... ورغم التشويه المخيف الذي كان بوجه الرجل فقد أحسَّ «أحمد» أنه يعرفه ... رآه في صورة ما في الكهف السرِّي «س/ص».

ولكن الوقت لم يكن وقت تذكر، فقد كان وقت الحياة أو الموت، وامتدَّت يد الرجل إلى الحائط في سرعة وأمسك ببلطة كانت معلَّقة، ثم قذف «أحمد» بها ...

ولكن «أحمد» انحنى إلى الأمام، وقفز في نفس الوقت على ساقَي الرجل وجذبهما بشدة ... فسقط الرجل على ظهره، وعادا إلى الالتحام من جديد، وتدحرجا في أنحاء الغرفة ... وكان المدفع الرشاش الذي سقط من «أحمد» قريبًا منهما ... واستمات كل واحد في الوصول إليه، واستطاع الرجل في النهاية أن يضع يده عليه، ولكن ضربة من قدم «أحمد» أطاحت بالمدفع بعيدًا ... واستمر الصراع ... ووصلا إلى باب الغرفة ووقفا ملتحمَين واستطاع الرجل أن يدفع «أحمد» بقوة، فارتطم رأسه بالباب الحديدي وأحس بدوار ... ثم شاهد الرجل يجري مغادرًا الغرفة إلى الدهليز فجرى خلفه ... واستطاع الرجل أن ينفذ من الدهليز إلى الخارج، وجرى «أحمد» ولكنَّه لم ير الرجل. كانت هناك حديقة واسعة كثيفة الأشجار ... وأدرك «أحمد» أن الرجل يتربَّص به ... وفكَّر لحظة واحدة، ثم عاد إلى الغرفة جاريًا فأحضر المدفع الرشاش وعاد إلى الحديقة، وفجأة سمع على مسافة منه صوت موتور يدور، كان الصوت عاليًا، ولا يمكن أن يكون صوت موتور سيارة ... فجرى في اتجاه الصوت ... وكم كانت دهشته عندما شاهد طائرة صغيرة تجري على مدرج بين الأشجار وأدرك «أحمد» أن الزعيم المُخيف يحاول الهرب بالطائرة ... جرى «أحمد» في اتجاه المدرج. ولكن الطائرة

كانت قد استكملت سرعتها وارتفعت عن الأرض. ولم يتردَّد ... رفع مدفعه الرشاش وأطلق سيلًا من الرصاص في اتجاه الطائرة، ولكن الطائرة ارتفعت في الجو وانطلقت تهدر فوقه، ثم غادرت المكان ... وأحسَّ «أحمد» بالضيق يشمل كيانه كله فقد استطاع الزعيم المُرعب الهرب ... ولكن الطائرة لم تبتعد كثيرًا حتى شاهد «أحمد» خيطًا من الدخان يَنبثق منها ... وأدرك أنه أصاب خزان الوقود في الطائرة وأن النيران ستشتعل فيها ... ولم تمضِ ثوانٍ حتى بدأ الحريق واضحًا على مبعدة، ثم انفجرت الطائرة وسقطت.

عاد «أحمد» مسرعًا إلى الطابق الثاني حيث كان «عثمان» و«ريما» و«زبيدة» في غرفة التحكُّم ... كان يخشى أن يكون أعوان الزعيم أو بعض الحراس قد هجموا عليهم، ولكنه وجدهم مكانهم، وقد ربطت «زبيدة» بخبرتها الطبية الجراح التي أصيب بها «عثمان» ... و«ريما».

وبعد لحظات ظهرت «إلهام» و«خالد» ومعهما عدد من الرجال في ملابس النوم. وقال «خالد» مبتسمًا: هؤلاء هم العلماء الذين اختفوا في السنوات الأخيرة ... لقد خُطفوا جميعًا ليقوموا بتنفيذ خطط الزعيم الجهنمية في اختراع أفتك الأسلحة ... وتنفيذ مشروعات عِلمية هامة لا يحلم بها أحد ...

أحمد: سنُغادر المكان بسرعة ... ومن المهم أن نجد وسيلة للاتصال برقم «صفر» فنُخطره بما حدث ليُبلغ الجهات المسئولة.

قالت «إلهام»: عندي طريقة الاتصال ... فعندما نزلت أنا و«زبيدة» و«ريما» و«خالد» لإحضار المظروف، تخلف «خالد» وقرر أن يعود إليكما أنت و«عثمان»، ولا أدري ماذا فعل بعد ذلك، فإنني لم أره مرة أخرى إلا هنا ... المهمُّ ذهبتُ و«ريما» و«زبيدة» لإحضار سيارتي وصعدت إلى شقتي لإحضار المفاتيح فوجدت رسالة من رقم «صفر».

قال «أحمد» مقاطعًا: هل فهمَ رسالتي؟

إلهام: طبعًا، لقد فهم أنك تُريده ألا يتصل بك تليفونيًّا، لهذا ترك لي رسالة تحت الباب وقد أوضح بها الطريقة التي تتَّصل عن طريقها به!

أحمد: هيا بنا، وسنأخذ العلماء معنا ... هل فيهم «معروف مبارك»؟!

خالد: إنه مريض جدًّا، فعندما خطفوه ضربوه على رأسه بشدة، وطبعًا لم يحتمل الرجل العجوز الضرب، فأصيب بارتجاج في المخ.

أحمد: فهمت الآن لماذا لم يعترف بمكان الرسالة السرية والمظروف الذي به المعادلات، ولهذا السبب وحده استطعنا الوصول إلى هذا المكان ... هيا بنا ...

بعد ساعات من هذه الأحداث كانت قوات الأمن اللبنانية تُطبق على مقر العصابة الرهيبة، وكان «أحمد» يجلس ليكتب تقريرًا لرقم «صفر» عن الأحداث التي وقعت، وقال في تقريره: لقد شككتُ في رجل الأمن الذي أرسلته لحماية «معروف مبارك»، وذلك عندما حاول إيهامنا بأن «معروف» قد اختُطف عن طريق نافذة الحمَّام، لقد فحصتها وفحصت الحائط الخارجي، وكان من الواضح أنه من المستحيل خطفه عن هذا الطريق ... وتقديري لما حدث هو أنه كان يتبع «معروف» في طريق دمشق-بيروت، ثم في بيروت نفسها، حتى دخوله السينما، ثم حتى فندق نورماندي وعندما اتصل بك «معروف» استمع «لاسكوف» إلى المكالَمة ربما عن طريق رشوة كاتب الفندق ... وسمعكما تتحدثان وعرف كلمة السر «تبولة بدون بصل»، فاستأجر غرفة بجوار «معروف» ثم صعد إليه وقال له كلمة السر، وفتح «معروف» الباب وعندما شاهد «لاسكوف» عرَفَه على الفور فجرى إلى الحمام مُحاولًا الفرار، واستطاع في لحظة أن يكتب بالصابون رموز الرسالة السرية ... واقتحم «لاسكوف» الحمَّام وضرب «معروف» على رأسه، ثم نقله إلى غرفته المجاوِرة، وانتظر حضور رجل الأمن الحقيقي في غرفة «معروف» وفتح له الباب على أنه «معروف»، واستطاع أن يضربه ثم ينقله إلى غرفته أيضًا ... وحضرنا نحن بعد ذلك، وتظاهر «لاسكوف» أنه حضر بعدنا ... وقلت له أنت على رقم تليفوننا ليتصل بنا وبعد ذلك استطاع أن يراقب تحركاتنا ... هذا هو التفسير الوحيد للذي حدث.

وجلس الأصدقاء حول فراش «عثمان» و«زبيدة» الجريحين، وقالت «إلهام»: حتى الآن لا أعرف كيف وصلت يا «خالد» إلى مقر العصابة!

قال «خالد»: عندما نزلت معكن وتركنا «أحمد» و«عثمان» وحدهما مع رجال العصابة الثلاثة خشيت من احتمال هجوم آخر للعصابة على شقتنا، ورأيت أنكنَّ أنتِ و«زبيدة» و«ريما» يُمكنكنَّ الذهاب وإحضار المظروف وحدكن وهكذا بقيت في ظلام السلم أنتظر، وفعلًا بعد فترة شاهدت «أحمد» و«عثمان» وخلفهما «لاسكوف» والرجلان الآخران ينزلون، وأدركت أن ما كنت أخشاه قد وقع، فأسرعت إلى الشارع واختبأت في حقيبة سيارة العصابة التي كانت بالباب ... ووصلتُ إلى مقر العصابة وبقيت في مكاني في السيارة حتى سمعت طلقات الرصاص فخرجت، وتغلبت على حارس الباب وأخذت مدفعَه الرشاش واقتحمت المكان.

قال «أحمد»: إنك رائع يا «خالد» ... ولكن بقيت نقطة أخيرة ... كيف وقعت الفتيات الثلاث في الأسر؟

قالت «إلهام»: أعتقد أن العصابة كانت تستخدم طريقة الرقابة المزدوجة ... فقد حضروا إلى شقتنا في سيارتين ... واحدة فيها «لاسكوف» والرجلان الآخران ... والثانية بها مجموعة أخرى ... وكانت السيارة الثانية تقف على مبعدة تراقب، وعندما شاهدتنا ننزل تحركت خلفنا، وقد استطاعوا بسيارتهم السريعة الوصول إلينا، وقرب قرية «كفر زبيان» ضربوا عجلات السيارة بالرصاص ثم هاجمونا بالمدافع الرشاشة.

عثمان: والمظروف؟

إلهام: إنه في مكانٍ ما في الجبل ... فعندما هاجمتنا العصابة تخلصت منه في الظلام وقذفته بكل قوتي في وسط الشجر الذي هناك قرب قرية «كفر زبيان» ...

أحمد: لن يكون البحث عنه مشكلة!

وابتسم «أحمد» لـ «إلهام» عندما مدت يدها إليه بالرسالة السرية قائلة: وهذه هي الرسالة السرية التي كشفت النقاب عن هذه العصابة الجهنمية. لقد شبكتُها بدبوسٍ في شعري.

وسمعوا جرس التليفون ومدَّ «أحمد» يده واستمع إلى رقم «صفر» يقول: لقد اعترف «لاسكوف»، وما قلته صحيح، لقد كان يطارد «معروف» على طريق دمشق-بيروت، ثم فقد أثره فترة، ثم عثر عليه مرة أُخرى وطارده ... واستطاع «معروف» أن يدخل السينما ويضع الرسالة، ثم خرج في الثانية عشرة ليلًا، وظل يركب تاكسيات مختلفة لتضليل العصابة حتى وصل إلى فندق نورماندي، وكانوا خلفه ... وخطفوه، كما خطفوا رجل الأمن الحقيقي ودارت عجلة الأحداث بعد ذلك كما تعرف ... إنني لا أدري ماذا أقول لكم ... ولكن من المؤكد أنه ليس هناك لغة يُمكن أن تكون فيها الكلمات المناسبة للثناء عليكم.

هنـــداوي